



سلطنة عمان

كلية العلوم الشرعية

بحث تخرج بعنوان:

تحقيق كتاب معالم الدين في الفلسفة وأصول الدين

من الصفحة ٧٦ إلى الصفحة ١٠٦

للشيخ العلامة عبد العزيز بن الحاج بن إبراهيم بن عبد العزيز الثميني

اسم الباحث: ناصر بن إبراهيم بن سيف السالمي

إشراف الشيخ الدكتور: سعيد بن سليمان الوائلي

التخصص: أصول الدين / السنة الرابعة

١٤٤٠ هـ / ٢٠١٩ م

الإهداء

إلى كل من كان لي أسوة حسنة ودليلا موصلا إلى مرضاة رب
العالمين، وإلى أُمِّي الغالية أطال الله في عمرها، وإلى أبي رحمه الله
تعالى، وإلى مربية الأجيال زوجتي العزيزة، وإلى ابنتي العزيزة
حفظها المولى سبحانه، وإلى إخواني وأخواتي، وإلى جميع علمائنا
الفطاحل، وإلى طلبة العلم والباحثين عن الحقيقة، أهدي هذا
العمل.

شكر وعرفان

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى، أحمدده
تعالى وأشكره على أن يسر لي تمام هذا العمل المتواضع، وأشكره
تعالى أن هيا لي السبل وأمدني بالصبر لتحقيق جزء من كتاب شيخنا
العلامة عبد العزيز الثميني رحمه الله تعالى.

كما أشكر شيخي الدكتور سعيد بن سليمان الوائلي على سعة
صدره وتوجيهه ونصحه وإشرافه لهذا العمل المتواضع
وأشكر الدكتور محمد الزيني على إرشاده لي فيما يخص مراجع علم
الفلسفة والمنطق وعلم الكلام

وأشكر أخي العزيز سعيد الشرياني على مراجعته لهذا العمل
و أشكر إدارة وهيئة التدريس والطلاب بكلية العلوم الشرعية
وأشكر كل من أسهم في إتمام هذا العمل المتواضع فلهم مني جزيل
الشكر والتقدير.

ملخص البحث

اسم البحث:

تحقيق كتاب معالم الدين في الفلسفة وأصول الدين

من الصفحة ٧٦ إلى الصفحة ١٠٦

اسم الباحث:

ناصر بن إبراهيم بن سيف السالمي

اسم المشرف:

الشيخ الدكتور/ سعيد بن سليمان الوائلي

اسم المناقش:

الدكتور/ فتحي بن نصر أبو عجيبة

أهمية الكتاب المحقق:

إن لعلم الكلام أهمية معتبرة عند الشيخ الثميني دفعته لتأليف كتابه معالم الدين، فقد ذكر -رحمه الله- في هذا الكتاب أن هذا العلم هو "أرفع العلوم وأعلاها منارا، وأنفعها وأجداها ثمارا، وأحراها بعقد المهمة بها، وإلقاء الشراشر عليها، وإتعب النفس فيها، وصرف الزمان إليها"^(١).

ومن هذه الأهمية لعلم الكلام اكتسب هذا الكتاب أهميته عند الشيخ الثميني، ولا شك أن موضوع كتاب معالم الدين له أهمية بالغة، فعلم الكلام علم نستطيع من خلاله الدفاع عن عقيدة الإسلام.

^(١) عمر إسماعيل، الإمام ضياء الدين عبدالعزيز بن الحاج بن إبراهيم الثميني وكتابه معالم الدين في الفلسفة وأصول الدين، جمعية التراث غرداية الجزائر، الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ ٢٠٠٧ م، ص ٩٩.

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي فتح لعباده مواهب فيضه، وأوصلهم إلى معارف خشيته ومحبتة، أحمدته بما هو له أهل من الحمد، وأشكره، وأستغفره من جميع الذنوب، وأتوب إليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وخليله ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله عز وجل، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

هذا؛ وإن مما ينبغي الإشارة إليه، هو أن العقيدة الإسلامية لها الأثر البالغ في استقامة الفرد والأمة، فاستقامة المسلم في حياته الدنيا يجني ثمارها في الحياة الآخوية، وهي مرضاة الله تعالى، ودخول جناته، كما أن استقامة الفرد لها الأثر البالغ في استقامة الأمة، وسبب من أسباب تقدمها ورفعته.

وقد هيا الله تعالى لهذه الأمة علماء مخلصين عاملين، يدافعون عن هذه الأمة وعقيدتها، ويقفون سدا منيعا في وجه من أراد بعقيدتها سوءا وتشويها، فيبينون الحق وينصرونه، ويبتطلون الباطل ويحاربونه، ومن هؤلاء العلماء الشيخ الجليل عبد العزيز بن الحاج بن إبراهيم بن عبد العزيز الثميني صاحب الكتاب الثمين (معالم الدين في الفلسفة وأصول الدين).

وفي هذا البحث اجتهدت في تحقيق جزء من كتاب شيخنا الثميني - رحمه الله - سائلا العون من الله القدير، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وباكورة حديثي ستكون في ذكر سيرة مختصرة عن شيخنا عبد العزيز الثميني، ثم التعريف بكتاب معالم الدين، ثم أتكلم عن المنهجية التي سرت عليها في تحقيق هذا الكتاب ذاكرا أسباب اختياري للموضوع والصعوبات التي واجهتها في طريقي لإتمام هذا العمل وخاتمة الجهد نبداها بتحقيق الجزء الذي اخترته من هذا الكتاب.

تعريف بالشيخ الثميني:

● نسبه:

هو الشيخ عبد العزيز بن الحاج بن إبراهيم بن عبدالعزيز بن الحاج عبدالله الثمين بن عبد العزيز بن عبدالعزيز بن عبدالله بن بكر بن موسى بن محمد بن عبدالعزيز بن يحيى بن موسى الحفصي الثميني^(١)، وقد اشتهر بضيء الدين^(٢).

وقد اختلف في اسم والده هل هو الحاج أو إبراهيم أو الحاج إبراهيم؟
والثميني عائلة مشهورة تستوطن بني يزجن^(٣) وتستوطن كذلك وارجلان^(٤) وتعرف كذلك بـ(ثمينة) أو (آت ثمينة)^(٥).

● مولده:

ولد في بني يزجن وقيل وارجلان سنة ١١٣٠هـ^(٦)، في شهر محرم، وقيل أنه في الثلث الأول من رجب^(٧).

(١) عمر إسماعيل، الإمام ضياء الدين عبدالعزيز بن الحاج بن إبراهيم الثميني وكتابه معالم الدين في الفلسفة وأصول الدين، ص ٣٨.

(٢) عمر إسماعيل، ضياء الدين الشيخ عبدالعزيز بن الحاج بن إبراهيم الثميني حياته وآثاره، مطبعة الواحات . غرداية

١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، ص ١٠.

(٣) بني يزجن أو بني يزقن وهي من مدن وادي ميزاب في الجزائر، وميزاب تقع في مفترق الطرق التجارية بين تجار الجزائر وبجاية حيث يلتقون بتجار السودان (أبو القاسم سعد الله (ت ١٤٣٥هـ) ، تاريخ الجزائر الثقافي أو الموسوعة الثقافية الجزائرية، دار البصائر للنشر والتوزيع- الجزائر، طبعة خاصة - ٢٠٠٧م، ج ١ ص ١٨١).

(٤) مدينة من مدن الجزائر، وهو بلد خصيب كثير النخل والبساتين، وفيه سبع مدن مسورة حصينة (كاتب مراكشي (ت ق ٦هـ)،

الاستبصار في عجائب الأمصار، دار الشؤون الثقافية، بغداد ١٩٨٦ م، ص ٢٢٤)

(٥) عمر إسماعيل، ضياء الدين الشيخ عبدالعزيز بن الحاج بن إبراهيم الثميني حياته وآثاره، ص ١٤.

(٦) اطفيش، محمد بن يوسف، شرح كتاب النيل وشفاء العليل، مكتبة الإرشاد جدة المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ج ٣ ص ٦.

(٧) عمر إسماعيل، ضياء الدين الشيخ عبدالعزيز بن الحاج بن إبراهيم الثميني حياته وآثاره، ص ١٥.

● نشأته وبداية تعلمه:

نشأ الشيخ الثميني في عائلة كريمة ذات نعمة ورخاء بوارجلان، كان مولعا بركوب الخيل، واشتغل في التجارة والفلاحة، ختم القرآن الكريم في صباه، وكان شغوفاً بالعلم لكنه لم تتح له الفرصة للتعلم حتى تجاوز السابعة والعشرين، حيث انتقل إلى شيخه أبو زكريا يحيى بن صالح الأفضلي حوالي سنة ١١٦٠هـ^(١).

● شيوخه:

- (١) أبو زكريا يحيى بن صالح الأفضلي، ولد عام ١١٢٦هـ في بني يزجن، سافر إلى جربة بتونس لتلقي العلم، اهتم بعد عودته إلى مسقط رأسه بنشر الأخلاق والآداب الإسلامية ومحاربة البدع ونشر العلم، توفي في شهر رجب عام ١٢٢٣هـ^(٢).
- (٢) أبو حفص عمرو بن رمضان بن مسعود بن أبي بكر التلاقي، ولد في جربة، سافر إلى مصر واستقر في القاهرة ودرس في المدرسة الإباضية بطولون، له مؤلفات تزيد عن العشرين، ومن مؤلفاته كتاب الدرر الثلاثيات على نظم الموجهات^(٣).
- (٣) يوسف بن محمد المصعبي المليكي من آل ويرو بغرداية، تعلم عنده كثير من إخواننا المالكية، توفي في صفر ١١٨٧هـ^(٤).

● تلاميذه:

تلاميذه أكثر نذكر منهم:

- (١) الشيخ الحاج يوسف بن حمو بن عدون بن يوسف، ولد في بني يزجن عام ١١٥٨هـ، تتلمذ على يد الشيخ أبو زكريا الأفضلي، والشيخ عبد العزيز الثميني^(١).

(١) عمر إسماعيل، الإمام ضياء الدين وكتابه معالم الدين في الفلسفة وأصول الدين، ص ٤٤

(٢) عمر إسماعيل، الإمام ضياء الدين وكتابه معالم الدين في الفلسفة وأصول الدين، ص ٤٧

(٣) عمر إسماعيل، ضياء الدين حياته وآثاره، ص ٢٦

(٤) عمر إسماعيل، الإمام ضياء الدين وكتابه معالم الدين في الفلسفة وأصول الدين، ص ٤٧

٢) الشيخ الحاج إبراهيم بن عبدالرحمن، كان كاتباً وأديباً وشاعراً، له ديوان شعري يحتوي على قصائد في شتى الأغراض الشعرية، وله من المؤلفات كتاب الجواهر الثمينة وغيرها من المؤلفات، توفي - رحمه الله - في بني يزجن عام ١٢٣٢هـ^(٢).

● جهوده العلمية والإصلاحية

- كان التحاقه بشيخه أبي زكريا الأفضلي بمثابة التلقيح للنهضة العلمية بوادي ميزاب، وهي التي نجني ثمارها إلى الآن^(٣)، وقد كان لشيخنا الثميني جهوداً واضحة تختصرها في عدة نقاط:
- فتح داراً لشيخه قرب المسجد ليعطي دروساً فيه.
 - شراؤه للكتب أو استئجاره لمن ينسخها ليستفيد منها ويستفيد منها غيره.
 - كان يسعى للإصلاح بين الناس فكان ملجأ للصالح وحماية المظلوم ومواساة المحتاج.
 - تولى مشيخة بلده، ورئاسة مجلس عمي سعيد^(٤).

● مؤلفاته:^(٥)

للشيخ الثميني كتب جليلة كثيرة نذكر منها:

- ١) كتاب النيل، وهو أول تأليفه، وهو كتاب جامع في الفقه ألفه استجابة لطلب شيخه الأفضلي، اشتهر (النيل وشفاء العليل) ويبدو أن الناشرين هم من زادوا في العنوان وإلا فمؤلفه اقتصر على كلمة (النيل)، وهو مطبوع.
- ٢) التكميل لبعض ما أخل به كتاب النيل، وهو مطبوع.

(١) عمر إسماعيل، الإمام ضياء الدين وكتابه معالم الدين في الفلسفة وأصول الدين، ص ٥٨

(٢) عمر إسماعيل، الإمام ضياء الدين وكتابه معالم الدين في الفلسفة وأصول الدين، ص ٥٩

(٣) عمر إسماعيل، الإمام ضياء الدين وكتابه معالم الدين في الفلسفة وأصول الدين، ص ٦٠

(٤) هذا المجلس نسبة إلى عمي سعيد بن علي بن يحيى بن بدر الجري، وفد من جربة واستقر بوادي ميزاب لنشر العلم وبث سيرة السلف الصالح، والمجلس يضم قضاة وعلماء، ويضع المجلس القوانين والأحكام وفق الشريعة الإسلامية. (عمر إسماعيل، الإمام ضياء الدين عبدالعزيز بن الحاج بن إبراهيم الثميني وكتابه معالم الدين في الفلسفة وأصول الدين، ص ٦٢)

(٥) عمر إسماعيل، الإمام ضياء الدين وكتابه معالم الدين في الفلسفة وأصول الدين، ص ٧٩

٣) تعاضم الموجين في شرح مَرَجَ البحرين، ومرج البحرين جزء من كتاب الدليل والبرهان لأبي يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني، وهو مخطوط.

٤) معالم الدين في الفلسفة وأصول الدين، وهو مطبوع وغير محقق.

٥) الورد البسام في رياض الأحكام، وهو مطبوع.

٦) التاج المنظوم في درر المنهاج المعلوم، وهو اختصار لكتاب منهاج الطالبين للشقسي^(١)، وهو مطبوع.

٧) مختصر حواشي الترتيب، وهو كتاب في علم الحديث، وهو مخطوط.

٨) عقد الجواهر المأخوذ من بحر القناطر، وهو كتاب في الفلسفة الشرعية والأخلاق والآداب الإسلامية، اختصر فيها كتاب قناطر الخيرات للشيخ إسماعيل الجيطالي، وهو مخطوط.

٩) مختصر في أمور الأزواج، وهو مخطوط.

١٠) النور، وهو كتاب في التوحيد، وهو مطبوع.

١١) الأسرار النورانية على المنظومة الرائية، وهو كتاب في أهمية الصلاة وأحكامها، وهو مطبوع.

١٢) المصباح المقتبس من أبي مسألة وكتاب الألواح، وهو كتاب في مختلف أبواب الفقه، وهو مخطوط.

١٣) بعض المنظومات منها:

- منظومة في بيان نزول القرآن من المكي المتفق عليه والمدني المتفق عليه والمختلف فيه منهما

ومعاني القرآن وعدد آيات الأحكام وغير ذلك، وهي في ٣٦ بيتاً.

- مرثية في إبراهيم بن الشيخ بلحاج القراري.

- منظومة في علم النحو.

- منظومة في الحساب الفلكي ومواقع البروج.

^(١) هو الشيخ العلامة خميس بن سعيد بن علي الشقسي، نشأ في قرية قصرى من قرى ولاية الرستاق العمانية، وهو من كبار علماء القرن الحادي عشر، من أهم أعماله موسوعته العلمية القيمة منهج الطالبين وبلاغ الراغبين. (الشقسي، خميس بن سعيد الشقسي، مكتبة مسقط، سلطنة عمان، مسقط، الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م، ج ١ ص ٧).

● وفاته

كانت وفاته في يوم السبت ١١ رجب عام ١٢٢٣هـ، يوافق ٣ سبتمبر ١٨٠٨م^(١)، وعمره ثلاث وتسعون سنة^(٢) - رحمه الله رحمة واسعة -.

التعريف بكتاب الشيخ الثميني (معالم الدين في الفلسفة وأصول الدين) وأهميته:

- يعد كتاب معالم الدين من أهم مؤلفات الشيخ الثميني، فهو جليل القدر، كبير النفع، متميز بمضمونه ومنهجه.
- يحتوي كتاب معالم الدين على أربعة معالم وكل معلم مقسم إلى مراصد وكل مرصد إلى مقاصد وقد يكون المقصد مقسما إلى مطالب، وجاءت هذه المعالم على النحو التالي:
 - المعلم الأول: المقدمات وبه ستة مراصد.
 - المعلم الثاني: الممكنات وأحوالها وبه ستة مراصد.
 - المعلم الثالث: الإلهيات وبه ستة مراصد.
 - المعلم الرابع: النبوات وما يتعلق بها وفيه خمسة مراصد وخاتمة.

● منهج الشيخ الثميني في كتابه معالم الدين^(٣):

- يمكن أن نختصر منهج الشيخ عبدالعزيز الثميني في كتابه معالم الدين في هذه النقاط:
- (١) نهج منهج المتكلمين الحكماء غير أنه كان بعيدا عن معضلات الفلسفة والمباحث الميتافيزيقية والطبيعية، واستعمل منها ما رآه مناسبا وذا أهمية.
 - (٢) بنى الهيكل العام لكتابه على أساس منطقي متسلسل.

(١) عمر إسماعيل، الإمام ضياء الدين عبدالعزيز بن الحاج بن إبراهيم الثميني وكتابه معالم الدين في الفلسفة وأصول الدين، جمعية التراث غرداية الجزائر، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م، ص ٦٤ و٦٥

(٢) اطفيش، محمد بن يوسف، شرح كتاب النيل وشفاء العليل، ج ١ ص ٨.

(٣) استفدت بعضا من هذه النقاط من كتاب (عمر إسماعيل، الإمام ضياء الدين عبدالعزيز بن الحاج بن إبراهيم الثميني وكتابه معالم الدين في الفلسفة وأصول الدين، ص ٧٣)

٣) سمة الاختصار الظاهرة في تأليفه لم تفارقه في هذا الكتاب، ولكنه اختصار غير محل، فتجده يطنب إطناباً غير ممل في بعض المسائل.

٤) استفادته وتأثره بما كتبه السابقون من حيث المنهج والمضمون.

٥) إذا كانت القضية محل خلاف، وكان للمذهب الإباضي رأي خاص فإنه قد يبسط القول في عرض الأدلة وبيان الأصوب كما فعل في قضية الرؤية.

٦) المباحث التي تقتضي البرهان العقلي فإنه يستعمل فيها القواعد المنطقية.

٧) إذا كان عنده رأي في مسألة منطقية فإنه لا يتردد في توضيحها.

نسبة الكتاب إلى المؤلف؛ واسم الكتاب:

لا شك في نسبة كتاب معالم الدين إلى الشيخ عبدالعزيز الثميني، فقد جاء في معجم مصنفات الأعلام للزركلي أن مُصَنِّف كتاب معالم الدين هو الثميني^(١)، وقد جاء في مقدمة المخطوط الذي رمزنا له بالرمز (أ) ما نصه " كتاب معالم الدين في التوحيد تأليف الإمام العالم الفقيه عبدالعزيز المصعبي المغربي "٢، كما جاء ما يُشير إلى ذلك في النسخة التي رمزنا لها بالرمز (ج) ما نصه " هذا كتاب معالم الدين من مُصنِّفات الشيخ الأوحّد والإمام الأجد العالم الشيخ عبدالعزيز المصعبي "٣ وقد اعتمدت اسم (معالم الدين في الفلسفة وأصول الدين) لاشتغال الكتاب بهذا الاسم^(٤).

أسباب اختياري للموضوع:

(١) المشاركة في تحقيق جزء من هذا الكتاب الثمين.

(٢) علاقة المخطوط بتخصصي -أصول الدين- لأنه مخطوط يهتم بالعقيدة الإسلامية.

^(١) الزركلي، معجم مصنفات الأعلام، جمع وإعداد: محمد عبدالرحمن طوالة، ص ٤٧١.

^(٢) المخطوط بوزارة التراث والثقافة بسلطنة عمان برقم (٢٢٨٥)، ص ١

^(٣) المخطوط بوزارة التراث والثقافة بسلطنة عمان برقم (١٠٠).

^(٤) عمر إسماعيل، الإمام ضياء الدين عبدالعزيز بن الحاج بن إبراهيم الثميني وكتابه معالم الدين في الفلسفة وأصول الدين، جمعية التراث غرداية الجزائر، الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ ٢٠٠٧ م، ص ٨٤.

(٣) لأنني لم أطلع على تحقيق لهذا الكتاب الثمين -معالم الدين في الفلسفة وأصول الدين-، لكن اطلعت على الكتاب مطبوعاً، حيث طبعته وزارة التراث والثقافة العمانية سنة (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م) ولكن بدون تحقيق.

صعوبات البحث:

- (١) أول تجربة لي في تحقيق المخطوطات.
- (٢) صعوبة التعرف على بعض الكلمات الواردة في المخطوط، لعدم وضوحها.
- (٣) منهج المؤلف في هذا الكتاب، حيث قوة الألفاظ والعبارات التي يصعب فهمها.

منهجية التحقيق:

لقد اجتهدت في تحقيق هذه المخطوطة وتخرج ما بها من درر نفيسة.

فبحثت عن نسخ لهذه المخطوطة، فوجدت ثلاث نُسخ رمزت لكل نسخة منها برمز معين، فجعلت أقدم النسخ هي الأصل ورمزت لها بالرمز (أ)، ثم النسخة الثانية ورمزت لها بالرمز (ب)، ثم النسخة الثالثة ورمزت لها بالرمز (ج)، وتوصيف هذه النسخ على النحو التالي:

المخطوطة (أ): وهي الأصل بوزارة التراث والثقافة بسلطنة عمان برقم (٢٢٨٥)، نسخها بيده عامر بن سالم بن سرور الشماخي البهلوي، بتاريخ ١ جمادى الأولى ١٠٧١ هـ، عدد صفحاتها (٤٤٧) صفحة.

المخطوطة (ب): مخطوطة بوزارة التراث والثقافة بسلطنة عمان برقم (٢٩١٠)، سنة النسخ ١٢٦٨ هـ، عدد صفحاتها (٧٨٩) صفحة.

المخطوطة (ج): مخطوطة بوزارة التراث والثقافة بسلطنة عمان برقم (١٠٠)، نسخها عبدالرحمن بن محمد بن سالم بن سيف الرواحي، بتاريخ الجمعة ٢ محرم ١٣١٥هـ، نسخها لأخيه الأديب الأريب سالم بن محمد بن سالم بن سيف الرواحي، عدد صفحاتها (٣٩٢) صفحة^(١).

ثم إني قارنت بين النسخ الثلاث، مع تخريج الآيات القرآنية، والأعلام، والبلدان، والمعاني اللغوية، والأصولية، والفلسفية، وقد حققت هذه المخطوطة متبعا المنهجية التالية:

(١) بداية وقبل تحقيق المخطوطة، كتبت مقدمة للبحث احتوت على ترجمة للمؤلف، وتعريفا بكتاب معالم الدين، وأسباب اختياري للموضوع، والصعوبات التي واجهتني، والمنهج الذي اتبعته في التحقيق، وختمت هذه المقدمات بخاتمة ذكرت فيها النتائج والتوصيات.

(٢) كتابة النص نقلا من المخطوطة الأصل وهي المخطوطة (أ).

(٣) مقارنة المطبوع بالمخطوطتين (ب، ج).

(٤) الكلمات المختلفة عن المخطوط الأصل (أ)، والمخطوطتين (ب، ج)، وضعتها بين قوسين وإحالتها في الحاشية، وإن كان هناك خطأ على ما بدا لي في النسخ الثلاث من المخطوط بينت ذلك في الحاشية.

(٥) استفدت من المطبوع لهذا الكتاب الثمين، حيث طبعته وزارة التراث والثقافة العمانية في جزأين وكان ذلك عام ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م، ولم تكن هذه الطبعة محققة.

(٦) ترقيم المخطوط بعلامات الترقيم المختلفة.

(٧) تصحيح الأخطاء والسهو.

(٨) تخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة.

(٩) ترجمة الأعلام والبلدان، وتركت المشهور منهم لاستفاضة شهرته في الآفاق.

(١٠) تبين المعاني اللغوية، والأصولية، والفلسفية.

(١١) عمل الفهرسة في آخر البحث.

^(١) نلاحظ اختلافا كبيرا في عدد صفحات المخطوط بين النسخ الثلاث، ولعل ذلك يعود إلى اختلاف حجم الورق المستخدم في كل نسخة من النسخ الثلاث وكذلك حجم خط النسخ.

ملاحظات:

- (١) مخطوطة معالم الدين مخطوطة قيمة، ومرجع مهم لطلاب أصول الدين وعلم الكلام والمنطق.
- (٢) المنهج العلمي التي اتبعه المؤلف في الكتاب، فقد كان بعيدا عن التعصب، يحاور المخالفين له في المعتقد بالحجة الدامغة، متحليا بالأخلاق الراقية.
- (٣) أسلوب المؤلف الذي اتبعه في هذا الكتاب الذي ابتعد فيه عن التطويل الممل، فاختصر اختصارا غير مخل، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على تمكنه من علوم اللغة ودلالات الألفاظ.
- (٤) المتتبع لهذا الكتاب سيلحظ تمكن المؤلف في العلوم الشرعية، وعلم الكلام والفلسفة والمنطق، ويدرك سعة اطلاعه في هذه العلوم.
- (٥) إن مثل هذه المخطوطات الثمينة النفيسة ينبغي المحافظة عليها وإخراجها إلى النور تحقيقا ودراسة وشرحا لما لها من فوائد جمة لطلاب العلم.
- (٦) تتبع مثل هذه المخطوطات في كل مكان، سواء الموجودة داخل البلاد أو خارجها، تلك الموجودة عند الأفراد أو المؤسسات الخاصة أو الحكومية، وذلك للمحافظة عليها وحمايتها من التلف.
- (٧) تسهيل السبل وتذليل الصعوبات أمام الباحثين والمحققين من طلاب العلم لتحقيق مثل هذه المخطوطات، وإخراجها للقارئ الكريم بحلة قشبية، ولتواصل دورها لخدمة الإسلام والمسلمين.
- (٨) توفير الخبرة الكافية للمحققين، وهيئة الأجواء المناسبة لهم لتساعدتهم على التحقيق بطريقة علمية رصينة.
- (٩) استحداث مادة خاصة بكلية العلوم الشرعية تعنى بتبصير الطلاب وتعليمهم كيفية التحقيق العلمي الرصين.
- (١٠) طباعة الكتب المحققة بعد مراجعتها طباعة راقية حديثة.
- (١١) نشر الكتب المحققة على الصعيد المحلي والعالمي، ليتمكن الجميع من قراءة المؤلفات الإباضية القديمة، وليتعارفوا على الفكر الوسطي المعتدل، ليكون سببا في لم شمل الأمة ورأب صدعها.

بالكس فاهلنا علومهم ونسجنا عليهم عنكب البرك وكفاه ما سمعت
 وحققته من اخبار اهل الزرع وما صاروا اليه انا لله وانا اليه راجعون
المفصل الرابع اعلم ان الاستدلال على اربعة اضرب **الاول** الاستدلال
 بالسبب على المسبب كالاستدلال على ان النار دافئة على ان النار حمراء
الثاني عكسه وهو الاستدلال بالسبب على المسبب كالاستدلال على
 ان النار دافئة على ان النار حمراء ومنه الاستدلال بوجود النار على
 وجود الموقد **الثالث** الاستدلال بالحدس **الرابع** الاستدلال بالحدس
 الاخر كالاستدلال على ان النار دافئة على ان النار حمراء على ان
 فان عليا ندر جارية مسيانية عن سبب واحد وهو جارية النار له
الرابع الاستدلال بالحدس لا زمني على اخر كالاستدلال بوجود
 كونه تعالى عالما على وجوب كونه متصفا بالعلم ومنه من ردها الي
 القسم الثاني وحصل الاستدلال في الثلاثة الاولى **فادع قسمته** هذا
 فالذي يصلح من هذه الانواع لم يفتد تعالى النوع الثاني والرابع اما
 الاول مما لا يفي حقه تعالى لوجوب وجوده فيسحيل ان يكون له سبب
 ويعتبر هذا بطل ايضا في حقه تعالى القسم الثالث فاذ اعلمت ذلك
 فاقرب مني بحدسك عن التقليد بعون الله تعالى ان تنظر الى اقرب ما اجابا
 اليك وهو نفسك حاله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون فتعلم بالضرورة

الكم

انكم لم تكن تدرى انكم لم تدرى انكم لم تدرى انكم لم تدرى انكم لم تدرى
 والا امكن ان نجد ما هو اوسع عليكم من نفسك وهو ذات غيرك
 لمساواة كنهها الامكان وانما قلنا انه اوسع عليكم بما في ايجادك نفسك
 من زيادة النفاذ والجمع بين متنافيين وهو تقدمك نفسك وانك
 عنها العجز لسبق الفاعل على فعله فاذا كانت ذاك بقدر نفس فعلك
 لزوم الحذر والمحدود **بما** وكذا ان تقول انك لم تكن تدرى انك لم تدرى
 بعد عده او ان حادث فكله هو كذا كذا **فادع قسمته** فنتج
 هذا الى هاهنا بالي موجد او جدي **اما** الصوري فمعلوم بالضرورة
 ان كل عاقل يشك في ان هيفه المحصورة التي هو عليها وجهها
 تحققت حقيقة الانسانية مثلا كانت معدومة لم كانت
واما الكبري فبقيل اضروا ايضا الصحيح انها نظرية من العلم
 مما يحصل بنظر قريب ولذلك نظر في قومه منهم الفخر الى العلم بما ضروري
 وهذه الطريقة اعني طريقة من يستدل على اتقنا الحادث الى سبب
 طريق من اشرب الحدوث بالامكان بان تكون العلة مجموعها
 او الامكان بشرط الحدوث عند الاستدلال على وجود الصانع كما
 سيأتي **المفصل الثالث** اختلاف المتكلمين في منشا احتياج الحوادث
 الى الصانع فقيل لا مكان وهو ان ينظر في ذات الممكن بحسب قبوله

عليه ايضا اني لما سبق من ان عدم كل حادث ازل مقدم فقد لزمت
معارضة وجود شيء لعدمه لانها لازلتان معا واجتماع وجود الشيء مع عدمه
محال ضرورة وفيه ايضا مصاحبة السابق وهو عدم المسبوق وهو
الوجود للحادث وفيه الجمع بين المتناقضين وهو للحدث والازلية
وبما ان اجتماع تلك العدميات في الازل انما هو حادث ثلاثه مرتبة
الوجود ثم توقيف عدم الحادث الاول انه خطا منه الى الازل
ثم في الحادث الثاني الذي بعد الاول عدمه او ما رتبته ايضا الى
الازل ثم كذلك الثالث فيلزم على هذا ان كل من الحوادث مسبوق
بعدمه ما الى الازل وتلك العدميات مجتمعة في الازل لا ترتب شيئا
الاثر ان لا يقال كان عدم هذا قبل عدم هذا بخلاف الوجود فانك
تقول كان وجود هذا بعد وجود هذا لان وجود الاول سابق على
وجود الثاني ووجود الثاني على وجود الثالث فقد اجتمعت اذن
عدماتها في الازل **واعترض** بان الازل ليس عبارة عن حالة مخصوصة
شبيهة بالنظر فتجتمع فيه عدميات الحوادث حتى لو وجد فيها شيء
من وجودها لزم اجتماع المقتضين بالمعنى اذلية العدميات فلا يست
مسبوقه بالوجودات وهذا لا يجب تقارنها في شيء من الاوقات وما
يقال للاحوال فيكون متعارفة في حيزها لكان حصول بعضها بعد حصول الآخر

فلا يكون

فلا يكون قد رتبة فانما يستقيم فيما يتناهي حده فالعدومات لا تتقارن
في حيزها لعدم تناهيها لانها في **المقصد الثالث** في ابطال الحوادث
لا اولها ايضا وليست في هذا الهمان بها في القطع والتطبيق **وتعبر**
ان يقال لو وجدت حوادث لا اولها لزم ان يوجد عددا من متغيرون
ليس احدها اكثر من الآخر وامسا اوله والثاني باطلا ايضا ضرورة ما علم من
وجوب زيادة احدهم الغائبين بين كل عدد من هيكون ملزم ومردود هو
وجود حوادث لا اولها باطلا **وبين** ان الملازمة انما هو نظرنا
عدد الحوادث من زمان الطوفان مثلا الى الازل مع عددها في الازل
مثلا الى الازل لكان عدد زينة متغير وزنه ويستحيل ان يكون بينهما
المساواة لتحقق الزيادة في احدهما والتي بدون زيادة لا يكون مساوية
لنفسه بعد زيادة ويستحيل ايضا ان يكون احدهما اكثر من الآخر لعدم
تناهي افراد كل واحد منهما فلا يفرغ احدهما بالعدد قبل الآخر وحقيقة
الاقلام ايضا عند العدم فانيا قبل الآخر الاكثر فانيا قبله ونحن لو
فرضنا ان شخصين احدهما بعد الحادث من زمان الطوفان الى الازل
والآخر بعد الحادث الى الازل لاستحال على مذهبهم ان يفتي احد
العدد بزيادة العدد قبل الآخر فيمتنع ان يكون احدهما اكثر من الآخر فقد
انضح كذا انه يلزم على تقدير وجود حوادث لا اولها ان يوجد عددا ان

لاستحيال ان توجد نفسك والا يمكن ان توجد ما هو اهنون
 عليك من نفسك وهو ذات غيرك لمساواة لك في الامكان
 وانما قلنا انه اهنون عليك لما في احوال نفسك من زيادة
 الشهاقة والنجاسات متنافسين وهو لغيرك نفسك وانما
 حرك عنها الوجود سبق الفاعل على فعله ولا كانت لا لك
 نفس فعلم ان لم تجد في المذكور **بيان** ان نقول ان لم
 اكن شئ كنت اوانا موجودا بعد عدم اوانا حادث فكل
 وهو كذلك فله موجود او جبر فينتج هذا البرهان ان
 لي موجودا او جبر في **الاصغر** فيعلم ضرورة ان
 كل عاقل لا يشك ان عيبه المخصوصة التي هو عليها
 وبعدها تحقيق حقيقة الانسانية مثلا كانت معدومة
 ولم كانت **ولما** الكبري فيقيد بالضرورة ايضا والحق انما
 نظرت غير ان العلم يحصل بنظر قريب ولد للظن قوام
 منهم الفخر ان العلم بها ضروري وهذه الطريقة اعني طريقة
 تستدل على افتقار الحادث الى سبب طريقة من شرب الحروف
 بالامكان بان تكون العلة مجموعها او بالامكان بشرط
 الحروف عند الاستدلال على وجود الصانع كما سباني
المفصل الثاني في اختلاف المتكلمين في منشأ احتياج الحادث الى
 الصانع فيقيد بالامكان وهو ان لا ينظر في ذات الممكن
 بحسب قبوله العبر الوجود والعدم والمقدار والقدرة
 والصفات وغير ذلك كما كان فيقول الممكن فاذل له

الاشياء

الاشياء لانه فاختصاصه باحد المتقابلين منها بالاختصاص
 محال وفيه الحروف وهو عمدة اكثر المتكلمين ورده
 استدلال سيدنا ابراهيم عليه السلام في الصلاة والسلام
 في احتياج احد على وجود الصانع في احتياجه على ابيه
 حسب ما يظهر لك من الآية الكريمة وحقيقة الحروف
 الوجود بعد العدم فيقول الاجرام حادثه لا لانها
 الحوادث وكل حادث فلا بد له من الفاعل المختار
 يستدل به وهذه المقدمة اعني الكبري مختلف في العلم
 بها هل هو ضروري او نظري وهو الصريح والشئ هنا
 والاحكام لا بد لها من الفاعل المختار وفيه
 الامكان والحروف معا فنقول اختصاص
 الحادث بالوجود في الوقت العيني لا عين
 العدم الحائز بوجوب افتقاره الى مخصص والامكان
 احد الامرين المتساويين متساويان في الحال لانه
 وذلك محال والاستدلال على افتقار الحادث الى
 سبب هو طريق مجموع الامكان والحروف وفيه
 الامكان بشرط الحروف وهو كالممكن
 الا ان فائدة كون الحروف حيزا وشروط ان العلم
 بوجود الفاعل المختار يحصل ضرورة اذ كان
 حيزا لوجوب طرد الدليل ولا يلزم ذلك الا

الآن ليس عبارة عن حالة مخصوصة
تشبهه بالظرف تحتها عدومات
الحوادث حتى لو وجد فيها شيء ووجودها
لزم اجتماع النقيضين بل معنى زلية العدم
انها ليست مسبقة بالوجودات فهذا لا
يوجب تفاردها في شيء من الاوقات وما يقال
انها لو لم تكن متفارقة في غير ما كان حصول
بعضها بعد حصول الآخر فلا تكون قدسمة
فانها يستقيم فيها انبساط عدها والعدومات
لا تتفارق ويجوز العدم تنافها لان تعاقبها
المقصد الثالث في ابطال حوادث الاول
لها ايضا ويسمى هذا البرهان برهان القطع
والتطبيق **وتقديره** ان يقال لو وجدت
حوادث الاول لها للزمن ان يوجد عدوان
متغاير ان لسرحدما اكثر من الآخر ولا مساوية
له والثاني ان اطلاق ضرورة لما علم وجود زيادة
احد التستين بين كل عدلين فيكون
ملزومه وهو وجود حوادث الاول لها بالاطلاق
وبيان الملازمة ان لو نظرنا عدد الحوادث
فرضان الطوفان مثلا الى الاربع عدها

فقاله

والآن مثلا الى الاربع كان عدد من متغايرين
ضرورة ويستحيل ان يكون بينهما المساواة
لتحقق الزيادة في احدهما والشيء بدون زيادة
لا يكون مساويا لنفسه بعد زيادة ويستحيل
ايضا ان يكون لعددهما اكثر من الآخر لعدم تنافها
اذا ركل واحد منهما فلا يفرغ احدهما بالعد
قبل الآخر وحقيقة الاقل ما يصير عند العدة
فايضا قبل الآخر والاكثر ما يقابلها ونحن لو فرضنا
الآن شخصين احدهما بعد الحوادث فرضنا
الطوفان الى الاربع والآخر بعد ما فرضنا الى الاربع
لاستحال على من فهم ان يفي احد العددين
بالعد قبل الآخر فيمتنع ان يكون لعددهما
اكثر من الآخر فقد انضح لك انه لا يمكنه على تقدير
وجود حوادث الاول لها ان يوجد عدوان
ليس بينهما مساواة ولا مفاضلة فاما
والطوفان الى الاربع اقل مما فرضنا الى الاربع
بالضرورة **وقد ذكرنا في العاشر** كاشد
والبيضاوي والعصدي والفخر وغيرهم

والا يمكن ان توجد ما هو احدث عليك من نفسك وهو ذات نفسك لمساواة
 لكل لا كان وانما قلنا انه احدث عليك لما في الجوارح نفسك من زيادة الزمانات
 والجمع بين متناهيين وهو تقدمك على نفسك وتاخر عنك عنها الوحدانية المتواضعة
 على فعلها فاذا كانت ذاتك نفس فعلك لم تجدوا المحذور والمذكور به ببيان ذلك
 ان تقول اني اكن ثم كنت اوانا موجود بعد عدم اوانا حادث فكل من هو كذلك
 فله وجودا ووجد فينتج هذا المذهب اني موجودا ووجدت في انما الصفة
 معلومة بالضرورة لان كل عاقل لا يشك في ان هيئته المخصوصة التي هو
 عليها وما تحقق حقيقة الانسانية مثلا كانت معدومة ثم كانت
 واما الكبرى فقبل بالضرورة ايضا والصحيح انما نظرية غير العلم بها يحصل
 بنظر قريب ولذلك طعن قوم منهم الغرض العلم بها ضروري وهذه الطريقة
 اعني طريقة هندس على افتقار الحادث الى سبب طريقة فيشوب الحادث
 بالامكان بان تكون العلة مجموعها او الامكان بشرط الحادث عند الاستدلال
 على وجود الصانع كما ساقى المفصل الثالث اختلاف المتكلمين في منشاء
 اختلاج الحادث الى الصانع فتقبل الامكان وهو ان ينظر في ذات الممكن بحسب
 قبوله الوجود والعدم والمقدار والزمان والصفات وغير ذلك كما كان
 فنقول الممكن قابل لهذه الاشياء لذاته واختصاصه باحد المتقابلين فيها
 بلا محصر محال وقبل الحوادث وهو عدمه اكثر المتكلمين ومن اسند السيدنا
 ابراهيم علي نبينا عليه الصلاة والسلام على وجود الصانع في احتجاجه على
 ابيه حسب ما يظهر ذلك في الآية الكريمة وحقيقة الحوادث الوجودية
 العدم فنقول الاجرام حادثة لزمانها الحوادث وكل حادث فلا بد له
 من الفاعل المختار يستدل به وهذه المقدمة اعني الكبرى تختلف في العالم

ص ١٨ ح ٢

امر لا يقال كان عدم هذا قبل عدم هذا بخلاف الوجود فانك تقول كان وجود
 هذا بعد وجود هذا لان وجود الاول سابق على وجود الثاني وجود الثالث
 سابق على وجود الثالث فقد اجتمعت اذن عدما في الازل والعدم في ان
 الازل ليس بغيره عن جالده خصوصية شبيهة بالطرف تجمع في الحوادث
 حتى لو وجد فيها شيء وجودها لزم اجتماع المقتضين بل معنى لثبوت العدما
 انها ليست مسبقة بالموجودات وهذا لا يوجب تغيرها في شيء من الاوقات
 وما يقال انها لو لم تكن متقارفة شيء ما كان حصول بعضها بعد حصول الآخر
 فلا تكون قد عرفت فاما يستقيم فيما ابتناهي عددها فالعدما لا تتقارن في حيزها
 لعدم تناهيها بل لا يتعاينها في المقصد المتكامل في ابطال الحوادث لا اولها
 ايضا ويحكي هذا البرهان بهما من القطع والتطبيق ونقطة ان يقال لو كانت
 حوادث لا اول لها لزم ان يوجد عددان متغايران ليس احدهما اكثر من الآخر
 ولا مساويا لآخره في اطل ضرورة لما علم من وجوب زيادة احدهما التبيين
 بين كل عددين فيكون ملزومة وهو وجود حوادث لا اول لها باطلا ونبأ
 الملازمة انا لو نظرنا عدد الحوادث في زمان الطوفان مثلا الى الازل مع عددها
 فلا ان مثلا الى الازل لكان عدد من متغايرين ضرورة ويستحيل ان يكون بينهما
 المساواة لتحقيق الزيادة في احدهما والشيء بدون زيادة لا يكون مساويا لنفسه
 بعد زيادة هـ ويستحيل ايضا ان يكون احدهما اكثر من الآخر لعدم تناهيها في اذ كل
 واحد منهما فلا يفرغ احدهما بالعد قبل الآخر وحقيقة الأقل ما يصير عند العد
 فانبأ قبل الآخر والاكثر ما يبقا بل ونحن لو فرضنا الان تخصيص احدهما بعد
 الحوادث في زمان الطوفان الى الازل والاخر بعد هذا لاقبال الازل
 لاستحال على مدحهم ان يفتي احد العددين بالعد قبل الآخر فيمتنع ان يكون احدهما

الكثر

النص المحقق:

وبدايته من المقصد الثالث

الذي يقع ضمن المرصد الأول من المعلم الثاني

المقصد الثالث: في منشأ احتياج الحادث إلى الصانع

اختلف المتكلمون^(١) في منشأ^(٢) احتياج الحادث^(٣) إلى الصانع، فقليل: الإمكان وهو أن ينظر في ذات الممكن بحسب (قبوله)^(٤) الوجود^(٥) والعدم^(٦) والمقدار^(٧) والزمان^(٨) والصفات^(٩) وغير ذلك كالمكان، (فيقول): الممكن^(١٠) قابل لهذه الأشياء لذاته فاخصه بأحد المتقابلين منها بلا مخصص محال، وقيل الحدوث وهو عمدة أكثر المتكلمين وبه استدل سيدنا إبراهيم - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - على وجود الصانع في احتجاجة على أبيه حسب ما يظهر ذلك من الآية الكريمة^(١١)، وحقيقة الحدوث الوجود بعد العدم.

(١) هم المسلمون الذين اشتغلوا بعلم الكلام، ومن أشهرهم المعتزلة والأشعرية. (أبو السعود، صلاح، المرجع الكامل في الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية منذ سقيفة بني ساعدة إلى اليوم، مكتبة النافذة، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م)

(٢) أنشأ يُنشئ، إنشاءً، فهو مُنشئ، والمفعول مُنشأ، أنشأ الشيء: أقامه، أوجده وأحدثه، أنشأه الله: خلقه، وأبدعه. (د أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م)

(٣) الحادث: ما يكون مسبوقاً بالعدم. (الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف، التعريفات، ص ٨١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م)

(٤) في نسخة (ب) زيادة كلمة (العدم) بعد هذه الكلمة العدم.

(٥) الوجود: هو تحقق الشيء في الذهن أو في الخارج ومنه الوجود المادي أو في التجربة، والوجود العقلي أو المنطقي. (المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م، ص ٢١١)

(٦) العدم: ما ليس بشيء، ولا يجوز أن يكون شيئاً. وهو إبطال الوجود ونفيه؛ ويعرف بأنه نفي محض. (مجموعة من الباحثين، معجم المصطلحات الإباضية، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، الطبعة الثانية ١٤٣٣هـ ٢٠١٢م، الجزء الثاني ص ٦٣٢)

(٧) المقدار لغة: هو الكمية، واصطلاحاً: هو الكمية المتصلة التي تتناول الجسم والخط والسطح والنحن بالاشتراك، فالمقدار والهوية والشكل والجسم التعليمي كلها أعراض بمعنى واحد في اصطلاح الحكماء. (الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف،

التعريفات، ص ٢٢٦، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م)

(٨) الزمان وسط متجانس غير محدد تمر فيه الأحداث متلاحقة، والمدة جزء منه، والزمان عند المتكلمين متحدد معلوم يقدر به متحدد آخر موهوم. (المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، ص ٩٥)

(٩) الصفات جمع صفة: وهي الاسم الدال على بعض أحوال الذات، واصطلاحاً: هي الأمانة بذات الموصوف الذي يعرف بها. (سائر بصمة جي، معجم ألفاظ العقيدة الإسلامية، دار القبس، سورية دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠١٥م، ص ٣٠٩)

(١٠) الممكن في اللغة المقدور عليه، والإمكان القدرة على الشيء. (سائر بصمة جي، معجم ألفاظ العقيدة الإسلامية، ص ٤٩٨)

(١١) لم يذكر المصنف الآية الكريمة ولعله يريد قوله تعالى "وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناماً إلهة إنني أراك وقومك في ضلال مبين" (الأنعام ٧٤)

فنقول: الأجرام^(١) حادثة لملازمتها الحوادث، وكل حادث فلا بد له من الفاعل المختار^(٢) يسند إليه، وهذه المقدمة^(٣) أعني الكبرى مختلف في العلم بها هل هو ضروري أو نظري وهو الصحيح. والنتيجة هنا: فالأجرام لا بد لها من الفاعل المختار. وقيل الإمكان والحدوث معاً، فنقول: اختصاص الحادث بالوجود في الوقت المعين بدلا عن العدم الجائز يوجب افتقاره إلى مخصص وإلا لكان أحد الأمرين المتساويين (متساويا)^(٤) راجحا لذاته، وذلك محال^(٥)، والاستدلال على افتقار الحادث إلى سبب هو طريق مجموع الإمكان والحدوث. وقيل الإمكان بشرط الحدوث وهو كالذي قبله إلا أن فائدة كون الحدوث جزءاً (و)^(٦) شرطاً أن العلم بوجود الفاعل المختار يحصل ضرورة إذا كان جزءاً لوجوب طرد^(٧) الدليل ولا يلزم ذلك إذا كان شرطاً لعدم اطراده^(٨).

وعبر بعضهم عن هذه الأقوال بقوله: الطرق المستدل بها على وجود الفاعل المختار أربعة، فعدّها إلى أن قال: وهذه الطرق إما أن تعتبر في الأجرام أو في الأعراض^(٩)، فتكون الطرق الموصلة إلى العلم

(١) الأجرام: جمع جرم بكسر الجيم يطلق على الفلك وما فيه من الأجسام. (الأحمد، نكري عبد النبي بن عبد الرسول، جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، دار الكتب العلمية - لبنان بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ ٢٠٠٠ م)

(٢) الفاعل المختار هو الذي يصح أن يصدر عنه الفعل مع قصد وإرادة. (الرجاني، علي بن محمد، كتاب التعريفات، ص ١٣٥)

(٣) مبدأ الاستدلال قال ابن سينا: المقدمة قول يوجب شيئاً أو يسلبه عنه وهو جزء من القياس. (المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، ص ١٩٠).

(٤) في نسخة (ج) سقطت كلمة متساويا.

(٥) المحال ما ينافي المنطق ويخالف المعقول، فلا يمكن تصويره لأنه يناقض العقل مناقضة بينة. (المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، ص ١٧١).

(٦) في نسخة (ب)، (ج) (أو).

(٧) الطرد ما يوجب الحكم لوجود العلة، وهو التلازم في الثبوت. (الرجاني، علي بن محمد، كتاب التعريفات، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٣٢١ هـ ٢٠١٠ م، ص ١١٥).

(٨) اطرء الشيء اطراداً تبع بعضه بعضاً وجرى. تقول: اطرء الأمر أي استقام. والأخبار تطرد أي تجري (الرازي زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٦ م، مادة طرد، ص ١٦٣).

(٩) الأعراض في اللغة: الأعراض جمع عَرَض، والعَرَض هو ما لا ثبات، أو هو: ما ليس بلازم للشيء، العَرَض عند المتكلمين ما لا يقوم بنفسه، ولا يوجد إلا في محل يقوم به (أحمد الحمد، محمد بن إبراهيم، مصطلحات في كتب العقائد، دار بن خزيمة، الطبعة الأولى، ص ٦١، ٦٢).

(القطعي)^(١) بوجود الله سبحانه ثمانية من ضرب أربعة في اثنين، وإن اعتبرت في المتقابلات الست وهي: الوجود والعدم وما ذكر معهما مما مر آنفا تكون ثمانية وأربعين من ضرب ثمانية في ستة.

وهذا كما قال على الجملة وأما بحسب التفصيل: بأن تعتبر أفراد كل قسم، أعني قسم الأجرام وقسم الأعراض وقسم المتقابلات الست، وتعتبر النسب والإضافات فلا يحيط بها عقل ولا يعلم ذلك إلا الله سبحانه، فقد استبان لك أن العالم مفتقر إليه وأنه فاعل له بالاختيار لا بالعلة^(٢) ولا بالطبيعة^(٣) ويقضي ذلك إمكانه وحدوثه ومقداره وصفاته وأزمته وسائر أحواله.

المقصد الرابع

اعلم أن الفرق بين الاستدلال بطريق الإمكان^(٤) المجرد وبين غيره من الطرق الآتية، أن العلم بحدوث العالم يتأخر في طريق الإمكان المجرد عن العلم بالصانع، وفي غيره يتقدم. وبيانه أنّا إذا حققنا أن العالم ممكن وجوده وعدمه، لا أرجحية لأحدهما على الآخر بذاته، ويدل على ذلك افتقاره، وأن كل ممكن بذاته من حيث هو قابل للوجود والعدم فالوجود له ليس من ذاته، وكل ما ليس له الوجود من ذاته فالوجود له من غيره ثم ذلك الغير لا بد وأن يكون واجب الوجود لذاته وإلا كان مفتقرا إلى ما افتقر إليه العالم ودار^(٥) أو تسلسل^(٦) على ما سيأتي، وكلاهما محال فثبت العلم بوجود مؤثر^(٧) واجب لذاته، فقد

(١) في نسخة (ب) سقطت كلمة (القطعي).

(٢) تعليل أفعال الله تعالى يعني تقييدها بأغراض لأجلها كانت، مثل تعليل الخلق للجن والإنس بالعبادة، قال تعالى: "وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون" (الذاريات: ٥٦)، وفي جواز التعليل خلاف بين المتكلمين. (مجموعة من الباحثين، معجم المصطلحات الإباضية، ج ٢، ص ٦٧١)

(٣) الطبيعة في اللغة السجية والخلقة، وهي عند جمهور المسلمين صفة قائمة بالأجسام، وهي القوى التي خلقها الله في الأجسام. (سائر بصمة جي، معجم ألفاظ العقيدة الإسلامية، دار القبس، سورية دمشق، الطبعة الأولى ٢٠١٥م، ص ٣٢٢)

(٤) الإمكان هو عدم اقتضاء الذات الوجود والعدم. (الجرجاني، علي بن محمد، كتاب التعريفات، ص ٢٩)

(٥) الدور في اللغة يغلب على لفظ الدور أنه يحمل معنى الإحداق بالشيء والاستدارة والرجوع إلى الموضع الذي ابتداء منه، وهو توقف وجود أمر على أمر آخر. (سائر بصمة جي، معجم ألفاظ العقيدة الإسلامية، ص ٢١٥)

(٦) التسلسل هو ترتيب أمور غير متناهية مجتمعة في الوجود على بطلانه دلالات شتى كبرهان التطبيق والبرهان السلمي وغيرهما. (سائر بصمة جي، معجم ألفاظ العقيدة الإسلامية، ص ١١٦)

(٧) وجدت في الأصل (مؤثر) بدون الهمز على الواو، ووردت في النسخة (ب)، (ج) (مؤثر) والصواب كما أثبتتها.

(خرج)^(١) لك من هذا العلم بوجود الصانع؛ لكن مع احتمال أن يكون صانعا باللزوم الذاتي فلا يكون العالم حادثا بل قديما^(٢) كما هو رأي الفلاسفة وأن يكون صانعا بالاختيار، فيكون العالم^(٣) حادثا فيحتاج إلى دليل آخر لإثبات هذا المطلب ، أعني حدوث العالم.

بعد ما فرغت من مطلب وجود الصانع الذي نظرك فيه ونظر الفيلسوف^(٤) واحد، وإنما تنفرد عنه بهذا المطلب الثاني، فإنه لم يهتد هو إليه.

(فتقول)^(٥): صانع العالم إما أن يكون أوجبه لذلك أو اقتضاه بطبعه أو أوجبه باختياره وجهات التأثير منحصرة في هذه الأوجه الثلاثة، ووجه الحصر أن كل مؤثر (لا يخلو)^(٦) إما أن يصح منه الترك أو لا. والأول: الفاعل المختار.

والثاني: إما أن يتوقف اقتضاؤه على شرط أو انتفاء مانع أولا.

والأول: الطبيعة، والثاني: العلة، ثم نقول لا جائز أن يكون المؤثر في هذه (الممكنات)^(٧) موجبا لها بذاته كالعلة ولا مقتضيا لها بطبعه؛ لأن ما يؤثر كذلك لا يجوز أن يخصص مثلا عن مثل لاستحالة الاختلاف في معلول^(٨) العلة الواحدة، ومطبوع الطبيعة الواحدة، وفاعل العالم قد خُصَّصَ مثلا عن مثل فتعين أن يكون فاعلا بالاختيار.

(١) في نسخة (ب) (خرج)

(٢) القديم يطلق على الموجود الذي لا يكون وجوده من غيره، وهو القديم بالذات، ويطلق القديم على الموجود الذي ليس وجوده مسبوقا بالعدم، وهو القديم بالزمان. (الجرجاني، علي بن محمد، كتاب التعريفات، ص ١٤٢)

(٣) مجموع الأجسام الطبيعية كلها من أرض وسماء. (المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، ص ١١٥)

(٤) المشتغل بالفلسفة، وبوجه خاص من يعنى بالبحث عن علل الأشياء وأسبابها الأولى. (المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، ص ١٤٣)

(٥) في نسخة (ج) (فتقول)

(٦) في نسخة (ب) سقطت (لا يخلو)

(٧) في نسخة (ب) سقطت كلمة (الممكنات)

(٨) ما يحدث عن علة ويقابلها تماما، وهو أحد طرفي العلاقة النفسية بين العلة والمعلول. (مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، ص ١٨٧)

فتقول حينئذ: العالم موقع بالاختيار، وكل موقع بالاختيار حادث، إذ اختيار وجوده يستلزم سبق عدمه، وإلا لكان تحصيل الحاصل في الوجود وثبوت الممكن (مما)^(١) لا يصح كونه في العدم، فينتج العالم حادث، فأنت ترى كيف تأخر العلم بحدوث العالم في هذه الطريقة عن العلم بوجود الصانع، فقد ظهر الفرق بين هذه الطريقة وغيرها من الطرق كما قلنا.

(تنبيه)^(٢): اعلم أن في قولنا فتعلم أن لك موجداً أوجدك حذف الكبرى، وهي أن تقول: وكل ما لم يكن ثم كان فله (موجداً)^(٣) أوجده للعلم بها وفي قولنا، وإلا أمكن أن تُوجد ما هو أهون عليك من نفسك إجمالاً، وتقديره أن يقال: لو أمكن أن توجد نفسك لأمكن أن توجد غيرك والتالي باطل فالمقدم مثله، (وبيان)^(٤) الملازمة أن القدرة على انتزاع^(٥) أحد المثليين قدرة على انتزاع مثله، والممكنات متساوية في الإمكان المصحح لتعلق القدرة، فالقدرة على إيجاد بعضها اختراعاً^(٦) قدرة على إيجاد جميعها، وإلى بيان الملازمة أشرنا بقولنا لمساواته لك في الإمكان. وأما بطلان التالي: وهو أن إيجاد الإنسان ذات غيره ممتنع، ولا يفتقر إلى بيان لأن كل عاقل (يدرك العجز من نفسه العجز عن ذلك)^(٧) فإن قلت: لا نسلم المقدمة القائلة أنا لم أكن ثم كنت، ولأن ذلك معلوم بالضرورة وسند المنع أي أعلم أن مادتي التي تكونت منها كانت ماء في صلب^(٨) أبي ومادة أبي التي تكونت منها كانت ماء في صلب أبيه، ولعل الأمر كان هكذا إلى غير نهاية، فإذا لاح^(٩) الاحتمال سقط الاستدلال، غاية الأمر؛ أي أعلم ضرورة

(١) في نسخة (ج) (عما)

(٢) في نسخة (ج) (تنبيه)

(٣) في نسخة (ب) (موجد) بالرفع

(٤) في نسخة (ب)، (ج) سقط حرف الواو

(٥) نزع الشيء ينزعه نزعا، فهو منزوع ونزيع، وانتزعه فانتزع: اقتلعه فاقتلع، وفرق سيبويه بين نزع وانتزع فقال: انتزع استلب، ونزع:

حول الشيء عن موضعه وإن كان على نحو الاستلاب. (أبو الفضل، محمد بن مكرم بن علي، جمال الدين ابن منظور الأنصاري

الرويفي الإفريقي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة - ١٤١٤ هـ، مادة نزع، ج ٨ ص ٣٤٩)

(٦) الاختراع بوجه عام الإتيان بجديد، ومنطقياً هو وضع الفروض العلمية، وهي مرحلة هامة من مراحل المنهج التجريبي. (لمعجم

الفلسفي، مجمع اللغة العربية، القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م، ص ٥)

(٧) في نسخة ب، ج (يدرك من نفسه العجز عن ذلك).

(٨) صلب: الصُّلْبُ والصُّلْبُ، عظم من لدن الكاهل إلى العجب، والجمع: أصلب وأصلاب وصلبة. (ابن منظور، لسان العرب، مادة

صلب، ج ١ ص ٥٢٦)

(٩) لاح يلوح لياحا إذا بدا وظهر. (ابن منظور، لسان العرب، مادة لاح، ج ٢ ص ٥٨٧)

تبدل الصور علي لا سبق العدم لذاتي. ودليلكم مبني على أن نفس الذات لم تكن ثم كانت لا على أن صورتها لم تكن ثم كانت.

قلنا: إن الذات من قبيل الكل المجموع^(١) والماهية^(٢) المركبة ومن لازمها انعدامها بانعدام جزؤها^(٣)، ومن المعلوم ضرورة أن جزءها الأكبر الزائد على النطفة^(٤) لم يكن ثم كان، فصدق قولنا في الصغرى^(٥) أنا لم أكن ثم كنت وأن العلم بذلك ضروري إذ أنا ونحوه من الكائنات، عبارة عن الهيكل المخصوص من (روح وبدن)^(٦) لا عن بعضه عند المحققين كما سيأتي، وإذا ثبت أن جزءا من ذاتي لم يكن ثم كان، فذاتي لم تكن ثم كانت، فأنا محتاج إلى موجد لذاتي، ويتعين أن يكون غيرها لئلا يلزم التهافت المذكور، غاية الأمر أنه لطرق احتمال أن بعض ذاتي في الأصل كالنطفة مثلا أثر في فعل البعض الزائد عليها، لأنها مغايرة لمجموع ذاتي وسنذكر برهان بطلانه فيما بعد، لأن مقصودنا استنتاج احتياج الذات إلى موجد.

وأما تحقيقه ما هو؟ وتحقيق حدوث كل جزء من أجزاء الذات بل وكل جزء من أجزاء العالم، فسيتضح بعد على الكمال على أن إسناد إيجاد شيء من (من)^(٧) الذات لبعضها يندرج بطلانه فيما ذكرناه من البراهين، على بطلان إيجاد الذات نفسها وهو ما ألزمناه على ذلك التقدير من صحة إيجادها غيرها، إذ لو كان لبعض الذات خاصية الاختراع للممكن لأمكن للذات أن تخترع غيرها من حيث اشتغالها على ذلك البعض الذي يصح منه الاختراع، وهو باطل بالضرورة.

(١) الكل المجموع: هي المعاني العامة التي تصدق على كثيرين ولها مفهوم يدل على خصائصها ومميزاتها، ولها ماصدق يشمل الأفراد التي تقع تحتها. (المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، ص ١٥٤)
(٢) الماهية تطلق على الأمر المتعلق، وماهية الشيء ما به الشيء هو هو. (سائر بصمة جي، معجم ألفاظ العقيدة الإسلامية، ص ٤٥٨)

(٣) هكذا وردت في الأصل والصواب (جزئها).

(٤) النطفة: الماء الصافي، والجمع النطاف، والنطفة ماء الرجل، والجمع نطف. (ابن منظور، لسان العرب، مادة نطف، ج ٩ ص ٣٣٥)

(٥) المقدمة الصغرى هي القضية التي فيها الحد الأصغر. (المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، ص ١٩٠)

(٦) في نسخة (ج) (أرواح وأبدان)

(٧) في نسخة (ج) لا يوجد تكرار لحرف (من)

فإن (قيل)^(١): لعل ذلك البعض إنما أثر بالطبع بشرط الاتصال والكينونة في الرحم، قلنا: فيلزم أن ينقطع تأثيره بعد الانفصال عن الرحم، كيف؟ ومعظم الذات بعد الانفصال وجد على أن اختلاف الذات، وتخصيص كل جزء منها بما يجوز على غيره، يمنع قطعاً أن يكون لعله أو طبيعة فيها تأثير، فتعين أنَّ التأثير إنما هو (بلاختيار)^(٢)، والممكنات بالنسبة إلى الفاعل المختار سواء، فظهر أن البرهان السابق يقتضي أن الموجد للذات ليس نفسها ولا جزءاً^(٣) منها، وأن ما زاد كان معدوماً ثم كان، وبسبب ذلك صدق ما ادعيناه من كونك تعلم ضرورة أنك لم تكن ثم كنت، لأن المركب لا وجود له إلا بجميع أجزائه.

المقصد الخامس

تقدم أن جهات التأثير منحصرة في الأوجه الثلاثة، وأن وجه الحصر أن كل مؤثر إما أن يصح منه الترك لأثره، كالكاتب مثلاً للكتابة، والمتحرك عن المرتعش مثلاً لحركته عند مثبت الأثر للقادرة، لا عندنا فيها عنها أو لا.

والأول: الفاعل المختار، ويلزمه أن يكون حياً عالماً قادراً مريداً كما سيأتي.

(والثاني)^(٤): أما أن يتوقف (اقتضاؤه)^(٥) على شرط وانتفاء مانع، كما يقول الطبائعي في إحراق النار ونفع الأدوية مثلاً، فإنه قد يمنع منها مانع أولاً كما يقول الفيلسوفي في حركة اليد مثلاً مع حركة المفتاح، فإنه يستحيل أن يمنع من حركة المفتاح أو الخاتم الكائن في اليد عند حركته مانع.

والأول: الطبيعة.

والثاني: العلة، فإذا عرفت هذا فالأوجه الثلاثة مستحيلة في النطفة.

(١) في نسخة (ج) (قلت)

(٢) في نسخة (ج) (الاختيار)

(٣) هكذا في الأصل والظاهر أن (جزءاً) هو الصواب.

(٤) في نسخة (ج) سقط حرف الواو

(٥) في نسخة (ج) (قضاءه)

أما تأثيرها فيما نشأ عنها بالاختيار: فضروري البطلان، إذ الحياة والعلم والقدرة والإرادة لازمة للمؤثر بالاختيار، وهي جماد لا تتصف بشيء من ذلك قطعاً وأيضاً لو أثرت النطفة بالاختيار لما اختص تأثيرها بهذه الذات، التي تكونت عنها دون غيرها ولكانت هذه الذات الكاملة أحق أن تؤثر في إيجاد الذوات، لاشتغالها على النطفة المدعي لها القدرة على التأثير ولما فيها أيضاً من الأوصاف المناسبة للتأثير (ما)^(١) مر، وعجزها عن ذلك معلوم ضرورة، فأحرى ما هو أضعف منها.

وأما تأثيرها بالطبع أو العلة: فباطل أيضاً لاختصاص هذه الذات بمقدار مخصوص وصفة مخصوصة، ونسبة النطفة إلى جميع المقادير والصفات نسبة واحدة، فتعين أن يكون الفاعل مختاراً له إرادة يرجح بها بعض الجائزات على بعض، وأيضاً فكل من النطفة والذات أجسام متماثلة، ومع ذلك (قد)^(٢) اختص بعضها بقوة السمع وبعضها بقوة البصر وبعضها بقوة الشم وبعضها بقوة اللمس وبعضها بقوة الذوق وبعضها بقوة العقل، إلى غير ذلك من الاختلافات التي لا تحصى، وكل واحد يجوز أن يكون في مكان صاحبه، وأن يكون على خلاف ما هو عليه، والطبيعة والعلة (يستحيل)^(٣) أن يخصصا مثلاً عن مثل، فإذا علمت (ذلك)^(٤) قطعاً أن لصانعك اختياراً.

وبيان ذلك من الشكل الأول أن تقول: ذاتك قد اختصت بجائز بدلاً عن جائز باعتبار مجموعها وباعتبار أجزائها، وكل ما هو كذلك ففاعله مختار لفعله، فينتج ذاتك فاعلها مختار (لفعلها)^(٥).

ودليل الصغرى: ظاهر فإن مجموع الذات قد اختص ببعض المقادير من كونه ذا طول مخصوص، وعرض مخصوص، والطول أكثر من العرض مثلاً مع جواز أن يكون المجموع على خلاف ذلك، وكلها جائزة لا رجحان لبعضها على بعض باعتبار أجزائها، فقد اختص بعضها مع استوائها، بأن كان عينا مثلاً وبعضها بأن كان أذنًا، وبعضها بأن كان يداً، إلى غير ذلك من الاختلافات، وكل واحد في محل مخصوص وله عرض مخصوص ومقدار مخصوص مع جواز غير ذلك في الجميع.

(١) في نسخة (ج) (ما)

(٢) في نسخة (ج) (فقد)

(٣) في نسخة (ج) (يستحيلان)

(٤) في نسخة (ب)، (ج) زيادة كلمة (علمت) بعد كلمة (ذلك)

(٥) في نسخة (ج) (لفعله)

وأما دليل الكبرى: فلأن تأثير الطبيعة والعلة، لما كان بالمناسبة الذاتية استحال أن يناسب الضدَّين، وأن يخصص مثلاً عن (مثله)^(١)، فتعين أن يكون المخصص لذاتك مختاراً، وعلمت أيضاً أن صانع ذاتك ليس بنطفة ولا طبيعة، ولا علة.

وبيان ذلك: من الشكل الثاني أن تقول: صانع ذاتك فاعل مختار ولا شيء مما ذكر بفاعل مختار فينتج صانع ذاتك ليس بنطفة ولا طبيعة ولا علة ودليل المقدمتين قد سبق، ونقول أيضاً: لا طبع لها في وجود ذاتك وإلا لكنت على شكل الكورة^(٢)، لأن الخصوم يقولون: إن الطبيعة المتساوية من كل وجه تقتضي شكلاً متساوياً من كل وجه وهو الكوري في المركبات، ولذلك زعموا أن جوهر الفلك لما كان طبيعة واحدة كان كورياً، وإذا انتفى الطبع لها فأحرى أن تنتفي العلة، ولا طبع لها أيضاً في نمو ذاتك، لأن الوقوف على مقدار مخصوص في النمو وانقطاعه عما فوق ذلك، مع جوازه يمنع أن يكون النمو أثراً للطبيعة، أو العلة إذ لو كان أثراً لأحدهما لزم أن لا تقف الذات في نموها، ولكانت تنمو أبداً على تقديرها مؤثرة في النمو، ولا يدفع (ذلك)^(٣) لزوم اختلاف مطبوعها أيضاً لأننا لا نسلم أن النمو شيء واحد لأن النمو (الذي)^(٤) في اليد مثلاً مخالف في انتهائه لنمو الأذن، وكذا نمو الأنف والرجل وغيرها بل أصابع اليد المتحدة المحل، وأصابع الرجل وأسنان الفم مختلفة في نموها، ونرى بعض الأعضاء نموها في الطول أكثر من العرض، وبعضها بالعكس إلى غير ذلك من صفات الاختلاف في النمو، وكل منها على أبلغ ما يكون من المناسبة لمصلحته الخاصة به، أفيرضى عاقل أن يسند هذا الصنع العجيب والشكل الغريب لشيء من العالم منفرداً أو مجتمعاً، فضلاً عن أن يسنده إلى (خصوصيته)^(٥) موات لا يسمع ولا يبصر ولا يغني شيئاً، كلا والله إنما يليق أن يفعله من ليس كمثله شيء مالك الملك المحيط

(١) في نسخة (ب)، (ج) (مثل)

(٢) كور: كور: دؤور، أعطى الشيء دائرياً، أو كروياً أو أسطوانياً أو مستديراً أو لجعل منه كرة (رينهات بيتز آن دؤزي (ت ١٣٠٠هـ)، تكملة المعاجم العربية، نقله إلى العربية وعلق عليه: ج ١ - ٨: محمد سليم النعيمي، ج ٩، ١٠: جمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، الطبعة الأولى، من ١٩٧٩ - ٢٠٠٠ م، مادة كور، ج ٩ ص ١٩٠)

(٣) في نسخة (ج) زيادة (من) بعد (ذلك)

(٤) في نسخة (ب) سقطت كلمة (الذي)

(٥) في نسخة (ج) (الخصوصية)

وفي نسخة (ب) (خصوصية)

علمه بكل شيء، الذي لا يتعاصى على قدرته التامة وإرادته النافذة شيء من الكائنات، فتبارك الله أحسن الخالقين.

المقصد السادس

فحين ظهر لك حدوث الزائد من الذات على النطفة (ضرورة)^(١)، وأنها ونحوها لا أثر لها في شيء من الذوات، وأن فاعل الذات فاعلٌ مختار استبان لك الاستدلال بذلك الزائد من الذات على حدوث تلك النطفة، وسائر العالم وأن احتياج الجميع إلى الفاعل المختار على السواء ، ولا أثر لبعض منه في بعض البتة^(٢)، ووجه الاستدلال تحقق المماثلة بين هذا الزائد والعالم كله، إذ هذا الزائد أجرام متحيزة (وأعراض)^(٣) قائمة بها وسائر العالم كذا والمثلان يجب استواءهما فيما يجب وفيما يجوز وفيما يستحيل، وقد وجب الحدوث لذلك الزائد قطعاً، فكذلك يجب لسائر العالم لمماثلته إياه.

إذ لو اختلف العالم، بأن يكون بعضه قديماً وبعضه حادثاً لكان مختلفاً فيما يجب، واللازم باطل فكذا الملزوم وبيان الملازمة^(٤) إن القدم لا يكون إلا واجباً للقديم، وبرهانه كما سيأتي من كون القدم لو كان جائزاً للقديم لجاز عليه سبق العدم، فيحتاج إلى مخصص يخصه بالوجود بدلاً عن العدم الجائز، وهو نقيض القدم المفروض فيلزم أن يكون قديماً غير قديم. هف^(٥).

وأما بطلان الزوم: فلأنه يلزم على تقدير صحته أن يختص أحد المثلين عن مثله، بصفةٍ واجبةٍ وهو محال لما يلزم عليه من اجتماع المتنافيين، لأن (التمثال)^(٦) يقتضي استواء المثلين في جميع صفات النفس أعني الصفات التي ليس لها وجود زائد على الذات، واختصاص أحدهما بحكم واجب، وهو لا يكون إلا صفة نفسية أو لازماً لها يوجب انفراد أحدهما عن مثله بصفة نفسية، فلا يشتركان في جميع صفات النفس فلا يكون إذاً مثله فكيف؟ وقد تحقق أنه مثل له، فلزم أن يكون مثلاً غير مثل. هفّ.

(١) في نسخة (ب) (ضرورة)

(٢) لا أفعله بته، ولا أفعله البته، لكل أمر لا رجعة فيه، وكأنه قطع فعله. (ابن منظور، لسان العرب، مادة بته، ج ٢ ص ٧)

(٣) في نسخة (ج) (أعراض)

(٤) كل ما لا يقبل الانفصال عن موضوعه، كالثقل بالنسبة إلى المادة. (المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، ص ١٩٢)

(٥) رمز بمعنى هذا خلف (عمر إسماعيل، الإمام ضياء الدين وكتابه معالم الدين في الفلسفة وأصول الدين، ص ١٧٦)

(٦) في نسخة (ج) (التمثال)

فخرج لك بالنظر في ذاتك وانعقاد التماثل بينك وبين سائر الممكنات، البرهان القاطع على حدوث العالم كله علويّه وسفليّه، عرشه^(١) وكرسيه^(٢)، أصله وفرعه، وأن الجميع عاجز عن إيجاد نفسه، وعن إيجاد غيره كعجزك، وأن الجميع مفتقر إلى الفاعل المختار كافتقارك إليه، "وإن من شيء إلا يسبح بحمده"^(٣) والمراد بالأصل: ما نشأ عنه غيره بحسب مجرى العادة من غير تأثير له أصلاً، وبالفرع ما نشأ عن الغير كالماء للنباتات مثلاً، فإن قيل: برهانكم السابق واللاحق إنما ينتجان الحدوث لجميع الأجرام وأعراضها. والمطلوب أعم من هذا، وهو حدوث كل ما سوى الله تعالى فلو قدر فيما سواه تعالى ما ليس بجرم ولا قائم به، لم ينهض^(٤) (فيه دليل)^(٥)، قلنا: مذهب المتكلمين انحصار العالم في الأجرام والأعراض خلافاً للحكماء في إثباتهم قسماً ثالثاً في العالم ليس بجوهر ولا عرض أعني غير متحيز ولا قائم بمتحيز، وسموه بالمجردات أعني من الصورة والتحيز كما ستعلمه، وجعلوا من ذلك النفوس والأرواح والملائكة، وتبعهم على ذلك الغزالي^(٦) وبعض الصوفية^(٧) فهي عندهم لا تتقدر ولا تتشكل ولا تعمر فراغا ولا يلزم من ذلك ما قالوا مماثلتها للباري عز وعلا، لأنها إنما شاركتها في سلب وهو القدس عن

(١) في الأصل شيء مسقف وجمعه عروش، ومجازاً بمعنى الملك في قوله تعالى: "وكان عرشه على الماء" (هود: ٧). (سائر بصمة جي،

معجم ألفاظ العقيدة الإسلامية، ص ٣٤٦)، (مجموعة من الباحثين، معجم مصطلحات الإباضية، ج ٢ ص ٦٣٦)

(٢) القدرة والملك والعظمة. (مجموعة من الباحثين، معجم مصطلحات الإباضية، ج ٢ ص ٨٣٧)

(٣) سورة الإسراء، آية ٤٤

(٤) نهض: النهوض: البراح من الموضع والقيام عنه، نهض ينهض نهضاً ونهوضاً وانتهض أي قام. (ابن منظور، لسان العرب، مادة

نهض، ج ٧ ص ٢٤٥)

(٥) في نسخة (ب) سقط (فيه دليل)

(٦) الغزالي مفكر ومتكلم وفقه وصوفي، ولد أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي في مدينة طوس سنة ٤٥٠هـ،

سافر إلى جرنان إلى الإمام أبي نصر الإسماعيلي في عام ٤٨٤هـ، وعمل مدرسا بالمدرسة النظامية ببغداد، له الكثير من المؤلفات منها،

المنحول في الأصول، ولباب النظر، وحجة الحق، ومقاصد الفلاسفة، وثمانية الفلاسفة، ومنهاج العابدين وغيرها، توفي الإمام الغزالي

في جمادى الآخرة سنة ٥٠٥هـ. (البدوي، د. عبد الرحمن، موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى

١٩٩٦م، الجزء الثاني ص ٨٠)

(٧) التصوف حركة دينية انتشرت في العالم الإسلامي في القرن الثالث الهجري كنزاعات فردية تدعو إلى الزهد والعبادة، ثم تطورت تلك

النزاعات بعد ذلك حتى صارت طرق مميزة معروفة باسم الصوفية، وأول ما ظهر هذا المصطلح كان في الكوفة بسبب قربها من بلاد

فارس وتأثرها بالفلسفة اليونانية. (الجهني، د. مانع بن حماد، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، دار الندوة

العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ، المجلد الأول، ص ٢٥٣)

المقدار والشكل والتحيز والمماثلة، إنما تكون بالمشاركة في صفات النفس قلت ومن ها هنا كُفّر بعضهم كابن حبيب^(١) من المالكية^(٢) الغزالي^(٣) وجعلوه مشبهًا.

تنبيهان:

الأول: أن للمتكلمين في إبطال الزائد على القسمين طرقًا، من أشهرها طريقة التقسيم، وهي كل موجود إما أن يكون متحيزًا أو لا. والثاني: إما أن يقوم بمتحيز أو لا، فالمتحيز هو الجوهر^(٤) والقائم به هو العرض وغيرهما هو الله تعالى، قال بعض المتأخرين من الأشاعرة^(٥) فهذه القسمة وإن كانت دائرة بين النفي والإثبات ضعيفة، لأن ما انتهى إليه التقسيم وهو ما ليس بمتحيز ولا قائم بمتحيز ليس نفس حقيقته جل وعلا، ولا نفس حقيقة صفاته لأنه انتهى إلى سلب وهو سلب التحيز والقيام بالمتحيز.

واختار بعضهم التوقف في وجود هذا الزائد، لضعف مسلك الفريقين أعني الحكماء والمتكلمين، قال: فإن الوجود المفروض لم (تعلم)^(٦) حقيقته حتى نحكم عليه باعتبارها وليس فيما علمناه متوقف عليه

(١) عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون السلمي الإلبيري القرطبي، عالم الأندلس وفقهها، ولد في البيرة سنة ١٧٤هـ، أصله من طليطلة من بني سليم، أو من مواليهم، سكن قرطبة وزار مصر ثم عاد إلى الأندلس، كان عالما بالتاريخ والأدب رأسا في فقه المالكية، له عدة مؤلفات منها، حروب الإسلام، وطبقات الفقهاء والتابعين، وتفسير موطأ مالك، توفي في قرطبة سنة ٢٣٨هـ. (الزركلي، خير الدين، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، لبنان، بيروت، الطبعة السابعة مايو ١٩٨٦م، المجلد الرابع ص ١٥٧)

(٢) المالكية هو أحد المذاهب الفقهية السنية الأربعة، ينتسب إلى الإمام مالك بن أنس (٩٣-١٧٩هـ)، ومن أشهر كتبهم موطأ الإمام مالك، وبداية المجتهد لابن رشد، والذخيرة للقراي، ومن أشهر علمائهم عبدالرحمن بن القاسم المصري، وأسد بن الفرات، وعيسى بن دينار وغيرهم. (الجهني، د. مانع بن حماد، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، المجلد الأول، ص ١٢٠)

(٣) سبقت ترجمته، انظر ص ٣٠

(٤) الجوهر هو المتحيز، القائم بنفسه، غير منقسم، قابل للأعراض (مجموعة من الباحثين، معجم المصطلحات الإباضية، الجزء الأول ص ٢٠٨)

(٥) الأشاعرة فرقة كلامية إسلامية، تنسب لأبي الحسن الأشعري، وقد اتخذت الأشاعرة البراهين والدلائل العقلية والكلامية لإثبات حقائق الدين، من أبرز أئمة المذهب، القاضي أبو بكر الباقلاني ومن كتبه الإنصاف، وأبو إسحاق الشيرازي ومن كتبه المذهب في الفقه، وأبو حامد الغزالي ومن كتبه المنقذ من الضلال (الجهني، د. مانع بن حماد، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، المجلد الأول، ص ٨٧)

(٦) في نسخة (ج) (نعلم)

(فیدل)^(١) به عليه لعدم العلم به، بخلاف ما نقول في الصانع فإنه وإن لم (تعلم)^(٢) حقيقته إلا أن ما علمناه متوقف وجوده عليه، فأسند العلم بوجوده إليه.

ومن المتكلمين: من أثبت حدوث هذا الزائد بالعقل، فقال: هذا الزائد لا يصح أن يكون إلهاً لوجوب الوجدانية له، كما سيأتي دليلاً. وإذا لم يصح كونه إلهاً لم يتوقف وجود العالم على وجوده، فلا يجب وجوده إذ لا يلزم من عدمه محال فيكون ممكناً، وكل ممكن حادث فهذا الزائد حادث وهو المطلوب، قال بعض: وهو ضعيف، لأنه تمسك بعكس الدليل^(٣) وهو لا يلزم عكسه وإنما يلزم طرده، وذلك أن توقف وجود العالم على وجود فاعل له يقتضي وجوب وجوده، لئلا يلزم التسلسل أو الدور لو قدر جواز وجوده، ولا يلزم من عدم توقف العالم على شيء عدم الوجوب لذلك الشيء إذ لا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول، وقد كان عز وجل واجب الوجود لذاته في الأزل قبل أن يوجد العالم وتوجد دلالته.

قال: والحق أن ما يفرض زائد على الإله غير إله، ولم تعلم حقيقته، فلم يكن الحكم عليه من جهة نفسه وحقيقته، فيستدل عليه باعتبار فعله، فلم يبق إلا التوقف والالتجاء^(٤) إلى السمع والبرهان القاطع، من الإجماع وغيره يشير إلى أن الله تعالى كان ولم يكن معه شيء ولا قديم إلا الله، ولا تتوقف دلالة صحة المعجزة على نفي قديم غير إله فجاز أخذه من طريق السمع.

الثاني: قد علمت مما مر أن الأجرام كلها متماثلة، فلا فرق حينئذ بين نورانياتها وظلمانياتها، حتى أن جرم الطين مثلاً مماثل لجرم القمر؛ لاشتراكهما في صفات النفس من التحيز وقبول الأعراض والتخصيص بالمقدار والمساحة وغيرهما، وإنما تمايزت بأمور عرضية حتى الماء والنار والأرض والسماء وحتى الإنسان مماثل لغيره من الأجرام الحيوانية والجمادية، ولهذا صح مسح الإنسان قرداً أو سباعاً أو

(١) في نسخة (ج) (فندل)

(٢) في نسخة (ج) (نعلم)

(٣) الدليل هو ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه إلى مطلوب خبري، كالعالم الدال على وجود الله تعالى وعلمه وقدرته وإرادته

وخلقه. (مجموعة من الباحثين، معجم مصطلحات الإباضية، الجزء الأول ص ٣٥٥)

(٤) لجأ: لجأ إلى الشيء والمكان يلجأ لجأ ولجؤوا وملجأ، ولجئ لجأ، والتجأ، وألجأت أمري إلى الله أسندت. (ابن منظور، لسان العرب،

مادة لجأ، ج ١ ص ١٥٢)

نحوهما، وإلا فلا يجوز تبدل الحقائق واختلال الأجناس كأن يصير الجوهر عرضا وعكسه، والحركة سكونا وعكسه، واللون طعما والقدرة إرادة أو نحو ذلك.

وما يقال كثيرا: إن الإنسان حقيقته مغايرة لحقيقة الفرس وكذا غيرهما وإنما تمايزت بأوصاف نفسية، هي فصول كالناطقية والصاهلية ونحوهما، فذلك مذهب الفلاسفة وبعض (المتكلمين)^(١)، وعليه جرت المنطقة في جعلهم الحيوان جنسا وما تحته أنواع له مختلفة بالحقائق.

وجمهور المتكلمين: على أنها كلها متماثلة من الذرة إلى الفيل أعني متحدة الحقيقة، وإنما الاختلاف بالعوارض وهذا أصل يبنى عليه كثير من قواعد الإسلام، وإثبات القادر المختار وكثير من أحوال النبوة والمعاد فإن اختصاص كل جسم بصفاته المعنوية، لا بد أن يكون بمرجح مختار إذ نسبة الموجد إلى الكل على السواء ولما جاز على كل جسم ما يجوز على الآخر كالبرد على النار والحرق على السماء، ثبت جواز ما نقل من المعجزات^(٢)، وأحوال القيامة، ومبنى هذا الأصل عند المتكلمين على أن أجزاء الجسم ليست إلا الجواهر الفردة، وأنها متماثلة لا يتصور فيها اختلاف.

حقيقة هذا: ما قرره الأشاعرة، وستعلم أنه ضعيف إذ لم يقع عليه برهان قاطع (أعني)^(٣) على ثبوت الجوهر الفرد، بل الحق أن ذلك مبني على أن أجزاء الجسم ممكنة قابلة للاتصاف بكل ما ذكر.

المقصد السابع

المشهور بين المتكلمين في حُدُوثِ العالم هو الاستدلال بحدوث أحد المتلازمين، وهو الأعراض على حدوث الآخر وهو الجواهر، فيفتقر إلى ثبوت الأعراض وحدوثها، واستحالة عرو^(٤) الجوهر منها وإبطال حوادث لا أول لها، وحينئذ يلزم حدوث الجواهر وحدوث الأعراض، (ويتوقف)^(٥) على أربعة أمور

(١) في نسخة (ج) (متكلمين)

(٢) كل أمر ناقض للعادة، يظهر على يد مدعي النبوة زمان التكليف، مقترن بالتحدي على جهة الابتداء، متضمنا لتصديقه.

(٣) مجموعة من الباحثين، معجم مصطلحات الإباضية، ج ٢ ص ٦٢٥

(٤) في نسخة (ج) سقطت كلمة (أعني)

(٥) عرو: عرا: برز، تتأ (رينهارت بيتر آن، تكملة المعاجم العربية، مادة عرو، ج ٧ ص ١٩٦)

(٥) في نسخة (ب) (يتوقف) سقط حرف الواو

إبطال الكمون^(١) والظهور، وإبطال قيامها بنفسها وإبطال انتقالها وإبطال عدم القديم، فصار هذا الدليل يتوقف بهذا الاعتبار على سبعة أمور.

ووجه توقف حدوث الجواهر على الأصول الأربعة، (الأولى)^(٢): أن جهة الدلالة هي أن ما لازم المتناهي^(٣) لا بد أن يكون متناهيًا، وإذا كان المعتمد الاستدلال (بتناهي)^(٤) أحد المتلازمين على تناهي الآخر فلا بد من إثبات زائد على الجواهر إذ الشيء لا يلزم نفسه وإذا ثبت الزائد فلا بد من إثبات التلازم وإذا ثبت التلازم فلا بد من إثبات تناهي أحد المتلازمين وهو الأعراض، وتناهي أفرادها، هو إثبات حدوث كل واحد منها، وتناهي جملتها هو إبطال حوادث لا أول لها، وإن شئت أن تقرر هذا قلت كلما^(٥) لا يخلو عن الحوادث فهو حادث، وجواهر العالم لا تخلو عن الحوادث، وهذه المقدمة القائلة جواهر العالم لا تخلو عن الحوادث تستدعي إثبات زائد وأنه حادث، وأن الجواهر لا يخلو عنه فهذه ثلاثة أصول.

وقولنا ما لا يخلو عن الحوادث لا بد أن يكون حادثًا، لأنه لو كان قديمًا لأفضى ذلك إلى حوادث لا أول لها وهو الأصل الرابع.

ووجه توقف حدوث الأعراض على الأصول الأربعة التي ذكرنا ثانيا هو أن جهة الاستدلال هنا على الحدوث بالطرو والعدم لما سبق وجوده قبل الطارئ وتحقق الطرو يستدعي ثلاثة أمور ويلزم الحدوث، والعدم يستدعي تلك الأمور الثلاثة، ويتحقق العدم، وليس العدم هو الحدوث فلا بد من بيان استحالة عدم القديم، وبيان هذا الكلام: (أنا)^(٦) نقول: في تحقق الطرو أنه لو لم يكن طارئًا لكان موجودًا قبل هذه الحالة، ولو كان موجودًا قبل هذه الحالة لم يخلو إما أن يكون في محل أولًا، فإن كان في محل فهو إما هذا المشاهد فيه طريانه عليه أو غيره، فإن كان هذا فقد كان كامناً وإن كان غيره فلا يصل إليه إلا

(١) كمن: كمن كمونا: اختفى. وكمن له يكمن كمونا وكمن: استخفى. وكمن فلان إذا استخفى في مكن لا يفتن له (ابن منظور،

لسان العرب، مادة كمن، ج ١٣ ص ٣٥٩)

(٢) في نسخة (ج) (الأول)

(٣) ما له حد ونهاية ويمكن قياسه، ويقابله اللامتناهي. (المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، ص ١٦٩)

(٤) في نسخة (ب) (بتناهي)

(٥) هكذا في الأصل والظاهر أن (ما) أصح لاستقامة المعنى.

(٦) في نسخة (ج) (أن)

بانتقال، وإن كان في غير محل فقد قام بنفسه، وكذلك نقول في عدم هذا العرض لأنه لو لم يكن قد عُدمَ لكان باقياً وهو إما أن يبقى في محل أو لا، فإن كان في محل فهو إما في هذا المحل أو في غيره، فإن كان في هذا المحل فهو كامن وإن كان في غيره فلا يصل إليه إلا بالانتقال من هذا فيتحقق أنه عدم.

ويقال له: لم قلت أنه إذا عدم يكون حادثاً؟ قلنا لأن القديم لا يجوز عدمه وإذا لم يكن قديماً لزم أن يكون حادثاً، فيتحقق بهذه القسمة العقلية توقف الدلالة بالطرو والعدم على هذه الأقسام وهي أربعة، فإذا سمعت ما قررناه عليك، وأردت إيضاحه فنقول: ما مر كنا نستدل على حدوث العالم بالنظر إلى أبعاضه وهو ذات الإنسان. وأما ها هنا: فبالنظر إلى جميعه نظراً واحداً.

وتقرير الدليل فيه: أن العالم كله صفاته حادثة وكل من صفاته حادثة فهو حادث.

دليل الصغرى أن صفات العالم متغيرة من وجود إلى عدم وعكسه قبولاً وحصولاً، وكل ما كان كذلك فهو حادث.

ودليل التغير: المشاهدة في بعضها كالحركات والأصوات ونحوها فإنها تشاهد طارئة بعد عدم ومعدومة بعد طرو. والقبول فيما لا يشاهد فيه التغير، كسكون الأرض والألوان على رأي، ونحو ذلك فإن الأرض يجوز أن تتحرك، وينعدم سكونها كما جاز ذلك في مماثلها من متحرك الأجرام، وذلك اللون المخصوص مثلاً يجوز أن ينعدم لونه ويتصف بغيره من الألوان كما اتصف به مماثله من الجواهر، وهي كلها متماثلة فيستحيل أن يجوز في بعضها ما لا يجوز في الآخر من حيث ذاته.

فاستبان لك أن صفات العالم كلها تتغير إما بالحصول أو بالقبول، وهذا من غير التفات إلى دليل استحالة بقاء الأعراض، أما إذا التفتنا إليه فصفات العالم حينئذ كلها تتغير بالحصول لا بالقبول إلى عدم وإلى الوجود تغيراً واجباً، وأما كون التغير يستلزم الحدوث فدليله: أن التغير مطلقاً يستحيل على القديم، لأنه إن كان من عدم إلى الوجود كان وجوده طارئاً بعد عدم وهو غير الحدوث، وقد فرض قديماً، هف^(١).

(١) رمز بمعنى هذا خُلف (عمر إسماعيل، الإمام ضياء الدين وكتابه معالم الدين في الفلسفة وأصول الدين، ص ١٧٦)

وإن كان من وجود إلى عدم كان وجوده جائزاً بدليل قبوله العدم، وكل جائز فهو لا يقع بنفسه فيلزم أن يكون وجوده وقع بمقتض والفرض أنه قديم، هف.

أيضاً فإن قلت: لعله جائز الوجود من حيث ذاته، قلنا: قد سبق بالبرهان أن العلة والطبيعة لا أثر لهما في شيء من الكائنات، فتقدير عدم القديم مع وجود علته أو طبيعته محال لما يلزم عليه من نفي المسبب مع وجود السبب فإن قدر أن سببه انتفي أيضاً نقلنا الكلام إلى نفيه وتسلسل، وإن قدر أن النفي مع وجود الطبيعة لطريان ضده كان محالاً أيضاً، لأن الضد إن طرأ قبل عدم القديم لزم اجتماع الضدين وإن طرأ بعد عدم لزم عدم (القديم)^(١) لا (بسبب)^(٢)، وأيضاً فيه ترجيح المرجوح إذ منع القديم السابق وجوده لتجدد هذا الضد أولى من منع الضد الطارئ لوجود القديم، فخرج لك بهذا البرهان صدق الصغرى وهي قولنا: العالم كله صفاته حادثة.

وأما دليل الكبرى وهي قولنا: وكل من صفاته حادثة فهو حادث فهو أنه لا يمكن أن يتقرر في العقل جرم ليس بمتحرك ولا ساكن، ولا مجتمع ولا مفترق، وهذه الأكوان كافية في الاستدلال بها على حدوثه. فنقول: العالم ملازم ضرورة للأكوان الحادثة وكل ما لازم الأكوان الحادثة فهو حادث، وإن شئت فاستدل باستحالة عرو الأجرام عن الأكوان على استحالة عروها، عما عداها من أجناس الأعراض، وذلك أن قبول الموصوف لجميع صفاته نفسي لذاته لا يختلف فيها ولا يدل على الذات، لئلا يلزم الدور أو التسلسل في احتياج القبول إلى قبول، أعني أن القبول لو كان عرضياً للجوهر لطرأ عليه كطريان الحركة والسكون والعلم ونحو ذلك، (لتوقف)^(٣) على قبول آخر بمعنى أن الجوهر لا يتصف به حتى يقبله، وكذا القبول الثاني، لأنه عرض طارئ على هذا العرض فإن توقف على الذي توقف عليه دار أو على غيره إلى هلم جرا تسلسل، فلو جاز العرو عن بعضها لجاز العرو عن جميعها، إذ الوصف النفسي لا يختلف كما لا (يختلف)^(٤)، لكن العرو عن جميعها باطل ضرورة لما عرفت من استحالة عرو الأجرام عن الأكوان التي هي الحركة والسكون والافتراق والاجتماع، فيلزم أن يجوز عرو الأجرام عن غيرها، وإذا

(١) في نسخة (ج) (التقديم)

(٢) في نسخة (ج) (لسبب)

(٣) في نسخة (ج) (لتوقفه)

(٤) في نسخة (ج) (يتخلف)

عرفت استحالة عروها عن الحوادث لزم حدوثها ضرورة إذ لو كانت الأجرام موجودة في الأزل^(١) وصفاتها لأجل حدوثها لا توجد إلا فيما لا يزال للزم عرو الأجرام عن جميع صفاتها، وهو الذي قررناه قبل.

تنبيه: اعترض على الصغرى بأننا لا نسلم أن لذوات العالم صفات زائدة على وجودها، حتى يستدل بحدوثها على حدوث موصوفها سلمنا وجودها، لكننا لا نسلم أنها حادثة قولكم أنها متغيرة من عدم إلى وجود وبالعكس ممنوع، لأننا نقول لا عدم لها أصلا، بل هي دائمة الوجود أما في موصوفها لكن تارة تكمن فيه بظهور حكم ضدها، وتارة تظهر فيه بانتفائه وأما مع الانتقال من محل إلى محل ومن قيام بنفسها إلى قيام بمحل، وبالعكس.

(والجواب)^(٢) عن الأول: وهو ادعاء الزيادة على الوجود أن كل عاقل (يحسب أن)^(٣) في ذاته معاني زائدة عليها كالعلم وأضداده ونحو ذلك، ولهذا قال بعض الأذكىاء من المتأخرين في جواب من منع وجود الأعراض: نزاعكم لنا وقولكم لا نسلم وجود الأعراض أما أن تقولوا أن هذا النزاع منكم لنا موجود أو معدوم فإن قلتم لا وجود له خرجتم عن كلفة العقل وسقط عنا.

وصيغة جوابكم من وجهين: أحدهما أنكم في عداد من لا عقل له، لأن من لا عقل له هو الذي يقول كلاماً ثم يردفه على الفور بقوله: ما قلت شيئا ومن لا عقل له فلا يجاب عنه.

وثانيها: إقراركم بأنكم لم تنازعونا ولا خالفتمونا فقد كفيتمونا مؤنة جوابكم وإن سلمتم أن نزاعكم لنا وجد منكم ولا شك أن ذلك النزاع أمر زائد على الذات وهو الذي نعني بالعرض فقد سلمتم وجود العرض.

فإن قالوا: نحن ممن يقول بالحال والواسطة بين الوجود والعدم فنسلم أن للأجرام صفات زائدة عليها، ولا يلزم من زيادتها وجودها لاحتمال أن تكون واسطة بين الوجود والعدم.

^(١) المراد بالأزل عدم السبق، ونفي البداية مطلقا، والأزلي ما لا يكون مسبوقا بالعدم. (مجموعة من الباحثين، معجم المصطلحات

الإباضية، الجزء الأول ص ٤٢)

^(٢) في نسخة (ج) (الجواب) بدون حرف الواو.

^(٣) في نسخة (ج) (يجيب)

قلنا: إن المحققين على أن الحال محال وأنه لا واسطة بين الوجود والعدم سلمنا ثبوتها ، فيلزم أن الأجرام تلازم صفات ثابتة وجب لها الحدوث فيلزم حدوثها ضرورة فقد تم البرهان على حدوث العالم على أكمل وجه بمجرد ثبوت هذه الصفات، وإن لم تنته إلى درجة الوجود فالقدح بعدم وجودها مع تسليم ثبوتها لا يضر شيئاً، في دليل الحدوث، وإنما يضر بالدليل الإصرار على عدمها وهو باطل ضرورة. ومن أدلة المتكلمين على ثبوت الأعراض تعاقب الأحكام (الجائزة)^(١) على الجوهر، ونذكر تمرينا للطالب فنقول: إذا تحرك الجوهر بعد أن كان ساكناً مثلاً فقد زال اختصاصه بـحيّزه الذي كان ساكناً فيه لمفارقته له ثم طرأ اشتغاله (بحيز)^(٢) ثان واشتغال (الحيز)^(٣) الأول والثاني جائزان، وكل جائز فلا بد له من مقتض فأمّا أن يكون المقتضي لهذا نفس الجواهر أو لا، والأول باطل وإلا استحال كونه مع بقاء نفسه في غير ذلك الحيز المعين والثاني نفي أو إثبات، والنفي لاقتضاء له والإثبات لا مثل للجوهر أولاً.

والأول: باطل لوجوب اشتراك المثليين في جميع صفات النفس والاقتضاء إنما يثبت للنفس ولأنه للاختصاص لما لم يقدّم بغيره ببعض الجواهر دون بعض لجواز كونه شاغلاً للحيز مع فقدان جوهر آخر، وغير المثل إما أن يقتضي باختيار أو بإيجاب فإن كان بغير اختيار فلا بد من قيامه فيه ليكون له اختصاص فيقتضي الحكم له دون غيره، وفيه ثبوت الأعراض والمختار لا بد له من فعل والجوهر باق مستمر الوجود، فلا يصح أن يفعل في حال بقاءه، فتعين أن يكون فعل فيه أمراً زائداً وهو الغرض الذي ابتغيناه، ولا يصح أن يفعل الحال التي هي الحكم الجائز ككونه متحركاً أو ساكناً على انفرادها، (إذا)^(٤) فعلها يستدعي القصد إليها وذلك يستدعي تميزها، والحال إنما تتميز باعتبار معناها الموجب لها، إذ لو تميزت باعتبار معقوليتها لأدى إلى ثبوت الحال للحال ويتسلسل، فتعين أنها لا تفعل على حيالها فتفعل مع وجود آخر موجب لها، وهو العرض الذي طلبناه، وهذا كله على القول بثبوت الحال، وأما على النفي فأمر واضح.

(١) في نسخة (ج) (الجائزة)

(٢) في نسخة (ج) (بخر)

(٣) في نسخة (ج) (الخبر)

(٤) في نسخة (ج) (إذ)

والجواب عن الثاني وهو ادعاء الكمون^(١) والظهور أنه يؤدي إلى اجتماع الضدين (فيه)^(٢) ضرورة، وأيضاً فالكمون والظهور اللذين قاما بالعرض ويتعاقبان عليه إن كان ينعدم أحدهما عند وجود الآخر، فقد نقضوا أصلهم في كمون الأعراض ولزمهم ما فروا منه وهو ملازمة الجواهر للحوادث. وإن قالوا بكمونها وظهورها أيضاً لزم التسلسل.

والجواب عن الثالث: وهو انتقال الأعراض من محل إلى محل.

وعن الرابع: وهو انتقالها من قيام بنفسها إلى قيام بمحل، وبالعكس إن (كل)^(٣) من الأمرين يؤدي إلى قلب حقيقة العرض، فإن الحركة مثلاً حقيقتها انتقال الجوهر من حيز إلى حيز ولو قامت في نفسها وانتقلت هي لزم قلب هذه الحقيقة، وأيضاً لو انتقلت للزم قيام انتقال بها، وذلك الانتقال ينتقل أيضاً فيقوم به انتقال وذلك يؤدي إلى التسلسل وقيام المعنى بالمعنى وكلاهما محال.

(١) نظرية لدى بعض مفكري الإسلام عبر عنها الشهرستاني عند إبراهيم النظام المعتزلي بقوله: "يقول النظام: إن الله تعالى خلق الموجودات دفعة واحدة على ما هي عليه الآن، ولم يتقدم خلق آدم خلق أولاده غير أن الله أكن بعضها في بعض فالتقدم والتأخر إنما يقع في ظهورها من مكانها دون حدوثها ووجودها، وإنما أخذ هذه المقالة من أصحاب الكمون والظهور من الفلاسفة. (المعجم

الفلسفي، مجمع اللغة العربية، ص ١٥٥)

(٢) في نسخة (ب) سقطت كلمة (فيه)

(٣) في نسخة (ب)، (ج) (كلا)، وهو الصواب.

المحصّد الثاني: في إبطال حوادث لا أول لها.

وفيه مقاصد:

المقصد الأول

أن يقال لو وجدت حوادث لا أول لها لفرغ ما لا نهاية له عدداً (قيل)^(١) ما وجد منها الآن، لكن لا يفرغ ما لا نهاية له عدداً لأن فراغ العدد يستلزم انتهاء طرفيه فينتج، لا توجد حوادث لا أول لها، وبيان ذلك أن تقول: اختلف الناس في حدوث العالم وقدمه والوجوه المحتملة لذلك بحسب الغرض أربعة، لأنه إما أن يكون محدث الذات والصفات أو قديم الذات والصفات أو قديم الذات (محدث)^(٢) الصفات أو قديم الصفات (محدث)^(٣) الذات، وهذا الرابع مما لم يقل به عاقل.

وبالأول: قال المسلمون والنصارى^(٤) واليهود^(٥) والمجوس^(٦).

وبالثاني قال: أرسطاطاليس^(٧) وهو المعلم الأول وتاوترسطس^(٨) وتامسطيوس^(٩) وبرقليس^(١٠)، ومن المتأخرين الفارابي^(١١) وابن سينا^(١٢) فإنهم قالوا الأفلاك قديمة بذواتها وصفاتها المعينة، كالمقدار والشكل وما

(١) في نسخة (ب)، (ج) (قبل)

(٢) في نسخة (ب)، (ج) (محدث)

(٣) في نسخة (ب)، (ج) (محدث)

(٤) أمة المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، وهو المبعوث بعد موسى عليه السلام. (الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١ ص ٢٢٠)

(٥) أمة موسى عليه السلام، وكتابه التوراة؛ وهو أول كتاب نزل من السماء، وما نزل قبل التوراة لا يسمى كتاباً. (الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١ ص ٢١٠)

(٦) المجوسية يقال لها الدين الأكبر، والملة العظمى، مسائل المجوس كلها تدور على قاعدتين اثنتين: الأولى: بيان سبب امتزاج النور

بالظلمة، والثانية: بيان سبب خلاص النور من الظلمة، وجعلوا الامتزاج مبدأ، والخلاص معاداً. (الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١

ص ٢٣٣)

(٧) أرسطوطاليس (هكذا وجدت ضبط الاسم في كتب الفلسفة)، وأرسطوطاليس هو أعظم فيلسوف جامع لكل فروع المعرفة الإنسانية في تاريخ البشرية كلها، وهو واضع علم المنطق كله تقريباً، ومن هنا لقب بالمعلم الأول وصاحب المنطق، ولد سنة ٣٨٤ قبل الميلاد، بمدينة أسطاغيرا، له عدة مؤلفات منها، المقولات، العبارة، التحليلات الأولى. (بدوي، د. عبدالرحمن، موسوعة الفلسفة، الجزء الأول ص ٩٨)

(٨) ثاوفرسطوس (هكذا وجدت ضبط الاسم في كتب الفلسفة) وثاوفرسطوس هو فيلسوف وعالم وتلميذ لأرسطو، وخليفته على رئاسة المدرسة المشائية، ولد في أرسوس بجزيرة لسبوس في سنة ٣٧٢/٧١ و ٣٧١/٧٠ قبل الميلاد، كان اسمه الأصلي ثورتاموس ولكن

وما يجري (مجراها)^(٥) من الأمور القارة اللازمة، سوى الحركات والأوضاع، فإن كل واحد (منها)^(٦) حادث ومسبوق بآخر لا إلى أول، والعناصر قديمة بحسب شخصها وصورتها الجسمية قديمة بنوعها وصورتها النوعية قديمة بجنسها، أي كان قبل كل صورة صورة أخرى لا إلى أول. وبالثالث، قال: الفلاسفة الذين كانوا قبل المعلم الأول المذكور كتالس^(٧) وانكساغورس^(١) وفيتاغورس^(٢) وبقرات^(٣) وجميع

أرسطو غير اسمه إلى ثاوفرسطوس، ومعناه من يتكلم كلاما إلهيا، تتلمذ على يديه الكثيرون منهم ديمتريوس الفاليري، وأراسييطرس، له عدة مؤلفات منها التحليلات، العلل، وطباع النبات، توفي وهو في الخامسة والثمانين من عمره في سنة ٢٨٧/٢٨٨ أو ٢٨٦/٢٨٧ ودفن في أثينا. (بدوي، د. عبدالرحمن، ملحق موسوعة الفلسفة، ص ٨٤)

(١) ثامسطيوس (هكذا وجدت ضبط الاسم في كتب الفلسفة) وثامسطيوس فيلسوف وخطيب وشارح لأرسطو، ولد سنة ٣١٧ بعد الميلاد، في أسرة وثنية وظل هو كذلك، بدء التدريس سنة ٣٤٥، لخص الكثير من الكتب منها تلخيص كتاب التحليلات، وكتاب السماع الطبيعى، صار محافظا لمدينة القسطنطينية من سنة ٣٨٣م إلى سنة ٣٨٤م، وتوفي بعد سنة ٣٨٨م إذ لا يعرف تاريخ وفاته بالدقة. (بدوي، د. عبدالرحمن، ملحق موسوعة الفلسفة، ص ٨٢)

(٢) برقلس ويسمى فرقليس وفرقلس وأبرقلس، فيلسوف أفلاطوني محدث، ولد في القسطنطينية ويحتمل أن يكون ذلك في سنة ٤١٢م، درس في الإسكندرية على يد ألفيودورس، ثم في مدرسة فلوطرخس وسوريانوس، ثم صار رئيسا لمدرسة الأكاديمية الأفلاطونية في أثينا، لقب بلقب دياودوخس أي عقيب أفلاطون في رئاسة الأكاديمية، له كتاب اللاهوت الأفلاطوني، وكان مهتما بمؤلفات أفلاطون فشرح الكثير منها، من تلاميذه ماريوس، ايسودورس، هيجاس، توفي برقلس سنة ٤٨٥م. (بدوي، د. عبدالرحمن، موسوعة الفلسفة، الجزء الأول ص ٣٤٥)

(٣) ثاني فيلسوف ذو شأن في الفلسفة الإسلامية هو أبو نصر الفارابي، الملقب بالمعلم الثاني، وهو تركي العنصر والبيئة، كان أبوه قائدا تركيا، ولد الفارابي في مدينة وسيج، سافر إلى حران موطن الثقافة في ذلك العهد، تعلم فيها على يد يوحنا بن حيلان، ثم ارتحل إلى بغداد ثم إلى حلب وظل يتنقل بين المدينتين حتى توفي سنة ٣٣٩م، ودفن بظاهر دمشق، للفارابي عدة مؤلفات منها كتاب القياس، والتوطئة في المنطق، وكتاب الألفاظ المستعملة في المنطق. (بدوي، د. عبدالرحمن، موسوعة الفلسفة، الجزء الثاني ص ٩٣)

(٤) ولد أبو علي الحسن بن عبدالله بن سينا في قرية خرميش من ضياع بخارى في صفر سنة ٣٧٠هـ، سبتمبر ٩٨٠م، أو في قرية أفشنة، تعلم القرآن والأدب في بخارى، ثم تعلم الفلسفة على يد أبو عبدالله الناطلي، له الكثير من المؤلفات منها كتابه الشفاء، وكتاب النجاة، وكتاب الإنصاف وغيرها، توفي ابن سينا في سنة ٤٢٨هـ وعمره ٥٣ سنة. (بدوي، د. عبدالرحمن، موسوعة الفلسفة، الجزء الأول ص ٤٠)

(٥) في نسخة (ب)، (ج) (مجراها)

(٦) في نسخة (ج) (منهما)

(٧) يعد طاليس (هكذا وجدت ضبط الاسم في كتب الفلسفة) وطاليس مؤسس وأب الفلسفة كلها، ولد حوالي ٦٤٣ قبل الميلاد، كان مشهورا بتعاليمه الرياضية والفلكية ورازاته العلمية وحكمته، وهو واحد من الحكماء السبعة، وتتألف فلسفته من قضيتين، الأولى: أن أصل كل شيء هو الماء وكل شيء يعود إلى الماء، والثانية: أن الأرض قرص مسطح مستو يطفو على الماء. (د. فيصل عباس، موسوعة الفلاسفة، دار الفكر العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٦م، ص ١١)

وجميع الثنوية^(٤) (كالمنانية^(٥))^(٦) والديصانية^(٧)، (والمرقونية^(٨))^(٩) والمهايتية^(١٠)، فإنهم قالوا الأجسام كلها قديمة بذواتها محدثة بصورها الجنسية النوعية، وبصفتها، ثم اختلفوا في تلك الذوات، وليس غرضنا في ذلك، فمن أراد الاطلاع عليه بما يحيط علما بمذاهبهم، فعليه بالشرح وقد بسطت الكلام فيه.

واعلم أن قدماء الفلاسفة وهم الحرثانيون^(١١) أثبتوا قدماء خمسة، واجب الوجود، وسموه عقلا ثم نفساً وهيولياً^(١٢)، ودهرا وخلاء وصارت جماعة من متأخريهم، إلى أن العالم العلوي قديم بذاته وصفاته كما مر،

(١) انكساغورس فيلسوف ومبشر بتيار جديد تظهر فيه الثنائية واضحة بين المادة والروح، ولد في مدينة إقلازومان وانتقل إلى أثينا، وهو الذي أدخل الفلسفة لأول مرة لأثينا، لتصبح بعد ذلك المهة الأكبر للفلسفة اليونانية، التجديد الأكبر الذي أتى به هو قوله بوجود شيء لا مادي هو الذي ينظم الكل. (بدوي، د. عبدالرحمن، موسوعة الفلسفة، ج ١، ص ٢٣٦)

(٢) ولد فيثاغورس بين ٥٨٠ و ٥٠٠ قبل الميلاد في ساموس، هاجر في منتصف عمره إلى كرواتيا في جنوب إيطاليا وهناك أسس الجمعية الفيثاغورية، ولا نعرف على وجه اليقين حياته المتأخرة وتاريخ وفاته، وقد اشتهرت هذه المدرسة بفكرة تناسخ الأرواح، وير الفيثاغوريين أن كل شيء يمكن عده وحسابه. (د. فيصل عباس، موسوعة الفلاسفة، ص ١٥)

(٣) سقراط فيلسوف يوناني، ولد في أثينا حوالي سنة ٤٧٠ قبل الميلاد، كان تلميذا في مدرسة أرخيلاوس الذي خلف انكساغورس في أثينا، لم يؤلف كتابا ولم يترك مؤلفا مكتوبا، استمر سقراط يعلم في أثينا حتى عام ٣٣٩ إذ جاء بعض أعدائه فاتهموه أنه ينكر الآلهة الشعبية وأنه يفسد عقول الشباب، فقدم سقراط للمحكمة، فحكم عليه بتجرع السم فمات. (بدوي، د. عبدالرحمن، موسوعة الفلسفة، ج ١، ص ٥٧٦)

(٤) الثنوية هم الذين تأثروا بقول القائلين كالمجوس والمنوية: أن العالم يحكمه مبدءان أو إلهان: واحد للخير والثاني للشر، ونفذ هذا الفكر إلى تعاليم غلاة الشيعة كفرقة البيانية، ومذاهب بعض المعتزلة، ولا وجود له الآن. (الحنفي، عبدالمنعم، موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب والأحزاب والحركات الإسلامية، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الثالثة ٢٠٠٥م، ص ١٩٧)

(٥) المنوية هم أصحاب ماني بن فاتك الحكيم الذي ظهر في زمان سابور بن أردشير، وقتله بهرام بن هرمز بن سابور، وذلك بعد عيسى ابن مريم - عليها السلام - ، أحدث ديناً بين المجوسية والنصرانية، وكان يقول بنبوة المسيح - عليه السلام - . ولا يقول بنبوة موسى - عليه السلام - . (الشهرستاني، أبو الفتوح محمد بن عبد الكريم بن أحمد ت ٥٤٨هـ، الملل والنحل، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت لبنان، ج ١، ص ٢٤٤)

(٦) في نسخة (ج) (المتأني)

(٧) الديصانية هم أصحاب ديسان، أثبتوا أصليين نورا وظلاما، فالنور يفعل الخير قصدا واختيارا، والظلام يفعل الشر طبعاً واضطراراً. (الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ص ٢٥٠)

(٨) المرقونية هم أصحاب مرقيون وهم قبل الديصانية وهم طائفة من النصاري أقرب من المنانية والديصانية. (الشهرستاني، الملل والنحل، ج ٢ ص ٩١)

(٩) في نسخة (ج) (المرقونية)

(١٠) المهايتية أو المهايتية كما ذكرت في أصل المخطوط طائفة من المرقونية يخالفونهم في شيء ويوافقونهم في شيء، فيوافقونهم في جميع الأحوال إلا في النكاح والذبائح. (الشهرستاني، الملل والنحل، ج ٢ ص ٨٧)

(١١) جماعة من صابئة الكلدانين. (الشهرستاني، الملل والنحل، ج ٢ ص ٢٢٤)

مر، إلا الحركات، فإنها حادثة بأشخاصها قديمة بأنواعها، فلا حركة إلا وقبلها حركة لا إلى أول، وأما العالم السفلي وهو عالم الكون والفساد، وهو ما تحت مقعر فلك القمر قالوا فإن الهولي قديمة وكل ما فيه من الصور والأعراض حادثة بأشخاصها قديمة بأنواعها، فلا ولد إلا وقبله والد ولا بيضة إلا من دجاجة ولا دجاجة إلا من بيضة ولا زرع إلا من بذر.

وتوقف جالينوس^(٢) في قدم ما ادعوا قدمه ومذاهبهم في ذلك ركيكة^(٣) لا يرضى بها عاقل، وتبعهم في ذلك من ينسب نفسه إلى الإسلام حماية لماله ودمه وليس له فيه نصيب، كالفارابي^(٤) وابن سينا^(٥) ومن في معناهما كالحفيد ابن رشد^(٦)، وأبي سهل الصعلوكي^(٧).

قال بعض المتأخرين من الأشاعرة: ولما قلنا اتفق أهل الأندلس على ترك ابن رشد.

فإذا عرفت ما قررناه فقولنا لو وجدت حوادث لا أول لها أعني صفات العالم، اعتراض منا على اعتراض الفلاسفة على كبرى الدليل الذي استدللنا به على حدوث العالم وهي قولنا: وكل من صفاته حادثة فهو حادث.

(١) لفظ يوناني بمعنى: الأصل والمادة، وفي الاصطلاح هي جوهر في الجسم قابل لما يعرض لذلك الجسم من الاتصال والانفصال محلّ للصورتين: الجسمية، والنوعية (الجرجاني، التعريفات، ص ٢٠١).

(٢) جالينوس من أكبر أطباء العصر القديم بعد بقراط، وفي الوقت نفسه فيلسوف، ولد في فرغاموم ١٢٨ . ١٣١ بعد الميلاد، تتلمذ في الطب على يد ساتيوس، وألف في الطب عدة كتب منها كتاب في تشريح الرحم، وكتاب تشريح أمراض العين، ودرس جالينوس الفلسفة الأفلاطونية على يد ألبينوس، له عدة مؤلفات في الفلسفة منها، في العادات، والمدخل إلى المنطق، وكتاب عدد المقاييس، توفي سنة ١٩٩ - ٢٠٠ م. (بدوي، د. عبد الرحمن، ملحق موسوعة الفلسفة، ص ٩٧)

(٣) الركيك الضعيف. (ابن منظور، لسان العرب، مادة رَكَّ، ج ١٠ ص ٤٣٢)

(٤) سبق التعريف به، انظر ص ٤١.

(٥) سبق التعريف به، انظر ص ٤١.

(٦) هو محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد ويكنى أبا الوليد ويلقب بالحفيد، كان جده فقيها مالكيًا، ولد في مدينة قرطبة سنة ٥٢٠ هـ، درس الفقه المالكي والحديث ثم درس الفلسفة، ويعتبر الشارح الأكبر لأرسطو، ولي قضاء قرطبة، في آخر حياته أقام في مراكش إلى أن توفي في التاسع من صفر ٥٩٥ هـ، ديسمبر ١١٩٨ م، ترك الكثير من المؤلفات منها، الكليات، شرح السماء والعالم، ومسائل في المنطق. (بدوي، د. عبد الرحمن، موسوعة الفلسفة، ج ١، ص ١٩)

(٧) محمد بن سليمان بن محمد بن هارون الحنفي، من بني حنيفة، ويكنى بأبي سهل الصعلوكي، فقيه شافعي، من العلماء بالأدب والتفسير، قال الصاحب ابن عباد: ما رأينا مثله ولا رأى مثل نفسه، ولد بأصبهان سنة ٢٩٦ هـ، وتوفي في نيسابور سنة ٣٦٩ هـ، درس بالبصرة بضعة أعوام، ثم درس بنيسابور ٣٢ عامًا، رويت عنه فوائد جمعة. (الزركلي، خير الدين، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، المجلد السادس، ص ١٤٩)

(ووجه الاعتراض أنهم قالوا لا نسلم أن كل من صفاته حادثة فهو حادث)^(١) قولكم لأنه لا يعرفونها مسلم قولكم، فيكون حادثاً ممنوع مثلها، لأن ذلك إنما يلزم أن لو كانت الحوادث التي لازمت الأجرام لها مبدأ يفتح به عددها، ونحن نمنعه، بل ما من حادث إلا وقبلة حادث لا إلى أول، فلم يلزم من قدم الأجرام على هذا التقدير عروها عن الحوادث اللازمة لها لأن نوعها الذي لا (تنفك)^(٢) عن الأجرام قديم.

وجوابهم أنه يلزم على وجود حوادث لا أول لها، أن يكون دخل في الوجود (وفرغ)^(٣) من حركات الأفلاك، وأشخاص الحيوانات ونحوها على الترتيب واحداً بعد واحد عدداً لا نهاية له والجمع بين الفراغ وعدم النهاية جمع بين متنافيين فيكون محالاً بالضرورة، ويلزم عليه أن يكون وجودنا ووجود سائر الحوادث الآن محالاً لتوقفه على المحال، وهو فراغ ما لا نهاية له فما توقف على ذلك الذي اتضحت استحالة يجب أن يكون محالاً، لأن المتوقف على المحال محال ضرورة أن المتوقف لا يوجد بدون المتوقف عليه، والمتوقف في قضيتنا هو وجود الحوادث الآن.

وقد أورد الحكماء على الذي منعه عن وجود حوادث لا أول لها سؤالاً فقالوا، ما ألزمتونا به من استحالة وجود حوادث لا نهاية لها يلزمكم مثله في (نعم)^(٤) الجنة إذ قلتم أن حوادث نعيمها ومتجددات أفرادها وسرورها لا نهاية لها.

وجوابه أن يقال لهم لبستم بلفظ مشترك وهو لفظ حوادث لا نهاية لها، فإنه يطلق بالاشتراك على وجهين: أحدهما بمعنى لا نهاية لها بحسب المبدأ أعني حوادث لا أول لها.

(والثاني)^(٥) بمعنى لا نهاية لها بحسب الآخر أعني حوادث لا آخر لها. والذي قلتم به ودفعناه هو الأول وفيه وجدت أدلة الاستحالة من الجمع بين الفراغ وعدم النهاية المتناقضين وغير ذلك، وانعدم فيه دليل

(١) في نسخة (ب) سقطت هذه العبارة (ووجه الاعتراض أنهم قالوا لا نسلم أن كل من صفاته حادثة فهو حادث)

(٢) في نسخة (ج) (ينفك)

(٣) في نسخة (ج) (وفرغ)

(٤) في نسخة (ج) (نعم)

(٥) في نسخة (ج) (الثاني) بدون حرف الواو

الجواز وأما الذي قلناه في نعيم الجنة من الحوادث فهو من القسم الثاني أعني الحوادث التي في الجنة لا آخر لها بمعنى أنها لا تنقطع أبداً (لا)^(١) يتجدد بعدها شيء.

وأما كل ما وجد منها فيما مضى إلى زمان الحال فهو مُتَنَاهٍ له مبدأً ومنتهاً فلم يلزم الجمع فيه بين الفراغ (وعدم)^(٢) النهاية المتناقضين ولا غيره من أنواع الاستحالة كما لزم فيما ادعيتم وليس من حقيقة الحادث أن يكون له آخر، وإنما المراد أن يكون من حقيقته أول، فقد ظهر انتفاء أدلة الاستحالة فيما ادعيناه من ثبوت حوادث لا آخر لها.

وأما دليل جوازه فيما تقرر وما سيأتي برهانه من وجوب العموم في تعلق قدرته تعالى وإرادته بكل ممكن مطلقاً في القدرة ومع الوقوع في الإرادة، فلو وجب أن يكون للحوادث آخر للزم عجز القدرة والإرادة^(٣) عن أمثال ما وقع وهي ممكنة ضرورة.

وأما حوادث لا أول لها فهي من المحال الذي هو ليس يتعلق بالقدرة والإرادة، وقد ضرب بعض الأذكياء لما ادعوه من وجود حوادث لا أول لها ولما ادعيناه من وجود حوادث لا آخر لها مثالين يستبين بهما أمر الاستحالة فيما ادعوه وأمر الجواز فيما ادعيناه.

فمثل الأول: بملتزم قال لا أعطي فلانا اليوم الفلاني درهما حتى أعطيه قبله درهما، ولا أعطيه (فيه)^(٤) درهماً حتى أعطيه فيه آخر قبله، وهكذا لا إلى أول.

فمن المعلوم بالضرورة أن إعطاءه الدرهم الموعود به في اليوم الفلاني محال لتوقفه على محال، وهو فراغ ما لا نهاية له بالإعطاء شيئاً بعد شيء، ولا ريب أن ما ادعوه من حوادث لا أول لها مطابق لهذا المثال، فإن إعطاء الفاعل للفلان مثلاً الحركة في زماننا (في)^(٥) هذا وفي غيره من الأزمنة المعينة متوقف على إعطائه قبله من الحركات شيئاً بعد شيء إلى ما لا نهاية له، فالحركة للفلان في الزمان المعين نظير الدرهم

(١) في نسخة (ج) (إلا)

(٢) في نسخة (ب) تكرار لكلمة (عدم)

(٣) صفة توجب للحي حالاً يقع منه الفعل على وجهٍ دون وجه، (الرجائي، علي بن محمد، التعريفات، ص ١٤)

(٤) في نسخة (ج) سقط كلمة (فيه)

(٥) في نسخة (ج) سقط حرف (في) والأسلم عدم وجودها لاستقامة المعنى بدونها.

الموعود به في الزمان المخصوص، والحركة التي لا تنتهى قبلها نظير (الدرهم)^(١) التي لا تنتهى قبل ذلك الدرهم، فيكون وجود الحركة للفلك في هذا الزمان مثلاً مستحيلاً كما استحال وجود الدرهم الموعود به في الزمان المعين للشخص، وكذا يلزم أن يكون وجودنا في هذا الزمان ووجود سائر الحيوانات والزرع مستحيلاً لتوقفنا على وجود آباء قبلنا لا نهاية لهم. وتوقف الزرع على بذور قبلها لا نهاية لها، ولا (يخفى)^(٢) على عاقل فضيحتهم.

ومثل الثاني: وهو ما ادعيناه نحن في نعيم الجنة بما لو قال الملتزم لا أعطي فلاناً درهماً في زمان ما إلا وأعطيه بعده درهماً وهكذا لا إلى غاية، فهذا لا يرتاب عاقل في جوازه إذ حاصله إلزام الملتزم عدم قطع العطاء بعد ابتدائه، فإذا كان ممن لا يعرض لمثله خلف في وعده ولا موت لذاته ولا عجز بنفوذ^(٣) قدرته وإرادته، فإننا نقطع بوقوع ذلك منه أبداً ونؤمن به، وليس ذلك إلا الله مولانا عز وعلا.

فهذا المثال لا تخفى مطابقته لما ادعيناه من نعيم الجنة للمؤمنين، ولا لما ندعيه من أليم جهنم للفلاسفة القائلين بقدوم العالم وإضرابهم من العصاة المصريين ولسائر الكافرين.

(١) في نسخة (ب)، (ج) (الدرهم)

(٢) في نسخة (ج) (تخفى)

(٣) نفذ: النفاذ: الجواز، وفي المحكم: جواز الشيء والخلوص منه. تقول: نفذت أي جزت، وقد نفذ ينفذ نفاذاً ونفوذاً. ورجل نافذ في أمره، ونفوذ ونفاذ: ماضٍ في جميع أمره، وأمره نافذ أي مطاع. (ابن منظور، لسان العرب، مادة نفذ، ج ٣ ص ٥١٤)

المقصد الثاني

أنه يلزم أيضا على تقدير وجود حوادث لا أول لها أن يقارن الوجود الأزلي عدمه وتقديره أن (تقال)^(١): لو كانت الحوادث مثلا لا أول لها لزم اجتماع الوجود الأزلي مع عدمه.

وبيان الملازمة أن كل حادث من تلك الحوادث مسبق بعدم لا أول له، وتلك العدميات كلها مجتمعة في الأزل إذ لا ترتيب فيها وجنس الحوادث أزلي أيضا لأنها لا أول لها، وذلك الجنس لا يتحقق وجوده إلا في حادث من أفرادها، فيلزم أن يكون ذلك الحادث أزليا لكن عدمه السابق عليه أيضا أزلي لما سبق من أن عدم كل حادث أزلي مقدم، فقد لزم مقارنة وجود شيء لعدمه لأنهما أزليان معاً واجتماع وجود الشيء مع عدمه محال ضرورة، وفيه أيضا مصاحبة السابق وهو العدم للمسبق وهو الوجود الحادث، وفيه الجمع بين المتناقضين وهو الحدوث والأزلية.

وبيان اجتماع تلك العدميات في الأزل أنا نفرض حوادث ثلاثة مرتبة الوجود، ثم نتوهم في عدم الحادث الأول أنه خط مار منه إلى الأزل، ثم في الحادث الثاني الذي بعد الأول عدم آخر مار منه أيضا إلى الأزل، ثم كذلك الثالث، فيلزم على هذا أن كلا من الحوادث مسبق بعدم مار إلى الأزل.

وتلك العدميات مجتمعة في الأزل لا ترتيب فيها، ألا ترى أنه لا يقال كان عدم هذا قبل عدم هذا، بخلاف الوجود فإنك تقول كان وجود هذا بعد وجود هذا، لأن وجود الأول سابق على وجود الثاني، ووجود الثاني على وجود الثالث، فقد اجتمعت إذن عدماؤها في الأزل.

واعترض بأن الأزل ليس عبارة عن حالة مخصوصة شبيهة بالظرف تجتمع فيها عدميات الحوادث حتى لو وجد فيها شيء من وجوداتها لزم اجتماع النقيضين، بل معنى أزلية العدميات أنها ليست مسبقة (بالوجودات)^(٢)، وهذا لا يوجب تقارنها في شيء من الأوقات، وما يقال أنها لو لم تكن متقارنة في حيز ما لكان حصول بعضها بعد حصول آخر فلا تكون قديمة فإنما يستقيم فيما يتناهى عدده فالعدميات لا تتقارن في حيز ما لعدم تناهيا لا لتعاقبها^(٣).

(١) في نسخة (ب)، (ج) (يقال)، وهو الصحيح لاستقامة المعنى.

(٢) في نسخة (ج) (بالموجودات)

(٣) نهاية النص المحقق، ويأتي بعده، المقصد الثالث في إبطال حوادث لا أول لها أيضا...

فهرس الآيات:

م	السورة	الآية	رقمها	الصفحة
١	هود	"وكان عرشه على الماء"	٧	٣٠
٢	الإسراء	"وإن من شيء إلا يسبح بحمده"	٤٤	٢٩
٣	الذاريات	"وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون"	٥٦	٢٣

فهرس الأعلام والفلاسة:

م	الاسم	الصفحة
١	إبراهيم الخليل عليه السلام	٢٢
٢	إبراهيم بن الشيخ بالحاج القراري	٩
٣	إبراهيم بن عبدالرحمن	٨
٤	أرسطاطاليس	٤٣
٥	إسماعيل الجيطالي	٩
٦	انكنساغورس	٤٤
٧	برقليس	٤٣
٨	بقراط	٤٥ ، ٤٤
٩	تالس	٤٤
١٠	تامسطيوس	٤٣
١١	تاوترسطس	٤٣
١٢	جالينوس	٤٥
١٣	ابن حبيب	٣٣
١٤	أبو حفص عمرو بن رمضان التلاقي	٧
١٥	خميس الشقصي	٩
١٦	ابن رشد	٣٣ ، ٤٦ ، ٤٥
١٧	أبو زكريا يحيى الأفضلي	٧
١٨	أبو سهل الصعلوكي	٤٥
١٩	سيبويه	٢٦
٢٠	ابن سينا	٤٥ ، ٤٣
٢١	عبدالعزیز الثميني	١١ ، ١٠ ، ٨ ، ٧ ، ٦ ، ٥ ، ٤ ، ٣ ، ١
٢٢	الغزالي	٣٣ ، ٣٢

تابع فهرس الأعلام والفلاسفة:

الصفحة	الاسم	م
٤٥ ، ٤٣	الفارابي	٢٣
٤٤	فيتاغورس	٢٤
٢١ ، ٥	محمد ﷺ	٢٥
٩	أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني	٢٦
٧	يوسف بن محمد المصعبي	٢٧
٧	يوسف بن حمو بن عدون	٢٨

فهرس البلدان والأماكن:

م	اسم البلد	الصفحة
١	الأندلس	٤٦، ٣٣
٢	بني يزجن	٨، ٧، ٦
٣	تونس	٧
٤	جربة	١٢، ٨، ٧
٥	الجزائر	٦
٦	الرستاق	٩
٧	السودان	٦
٨	القاهرة	٧
٩	مصر	٣٣، ٧
١٠	وادي ميزاب	٨، ٦
١١	وارجلان	٩، ٧، ٦

فهرس الطوائف والفرق والمذاهب والأديان:

م	اسم الفرقة أو المذهب	الصفحة
١	الأشاعرة	٤٦ ، ٣٥ ، ٣٣
٢	الثنوية	٤٤
٣	الحرثانيون	٤٥
٤	الديسانية	٤٤
٥	الصوفية	٣٢
٦	الفلاسفة	٥٦ ، ٥٢ ، ٥١ ، ٤٦ ، ٤٥ ، ٤٤ ، ٤١ ، ٣٥ ، ٣٢ ، ٢٥
٧	المالكية	٣٣ ، ٧
٨	المهاتية	٤٤
٩	المتكلمون	٢٢
١٠	المجوس	٤٤ ، ٤٢
١١	المرقونية	٤٤
١٢	المسلمون	٤٢ ، ٢٢
١٣	المنانية	٤٤
١٤	النصارى	٤٤ ، ٤٢
١٥	اليهود	٤٢

المصادر والمراجع:

- (١) أحمد الحمد، محمد بن إبراهيم، مصطلحات في كتب العقائد، درا بن خزيمه، الطبعة الأولى.
- (٢) أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤هـ)، معجم اللغة العربية المعاصرة، بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
- (٣) الأحمد نكري، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول (ت، ق ١٢هـ)، دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
- (٤) اطفيش، محمد بن يوسف (ت ١٣٣٢هـ)، شح كتاب النيل وشفاء العليل، مكتبة الإرشاد جدة المملكة العربية السعودية الطبعة الثالثة ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م.
- (٥) البدوي، د. عبدالرحمن، موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٦ م.
- (٦) الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف المتوفى: ٨١٦هـ، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م.
- (٧) الجهني، د. مانع بن حماد، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثالثة ١٤١٨ هـ.
- (٨) الحنفي، عبدالمنعم، موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب والأحزاب والحركات الإسلامية، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الثالثة ٢٠٠٥ م.
- (٩) رينهارت بيتر آن دُوزي (ت ١٣٠٠هـ)، تكملة المعاجم العربية، نقله إلى العربية وعلق عليه: ج ١ - ٨: محمد سليم النعيمي، ج ٩، ١٠: جمال الحياط، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، الطبعة الأولى، من ١٩٧٩ - ٢٠٠٠ م.
- (١٠) الزركلي، خير الدين، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة السادسة عشرة، يناير ٢٠٠٥ م.
- (١١) الزركلي، معجم مصنفات الأعلام، جمع وإعداد: محمد عبدالرحمن طوالبه.

- (١٢) زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت ٦٦٦هـ)،
مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٦م
- (١٣) سائر بصمة جي، معجم ألفاظ العقيدة الإسلامية، دار القبس، سورية دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠١٥م.
- (١٤) أبو السعود، صلاح، المرجع الكامل في الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية منذ سقيفة بني ساعدة إلى اليوم، مكتبة النافذة، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م.
- (١٥) الشقصي، خميس بن سعيد، منهج الطالبين وبلاغ الراغبين، مكتبة مسقط مسقط عمان الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.
- (١٦) الشهرستاني، أبو الفتوح محمد بن عبد الكريم بن أحمد ت ٥٤٨هـ، الملل والنحل، تحقيق محمد سيد كيلاي، دار المعرفة، بيروت لبنان.
- (١٧) عمر إسماعيل، الإمام ضياء الدين عبدالعزيز بن الحاج بن إبراهيم الثميني وكتابه معالم الدين في الفلسفة وأصول الدين، جمعية التراث، غرداية، الجزائر، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م.
- (١٨) عمر إسماعيل، ضياء الدين الشيخ عبدالعزيز بن الحاج بن إبراهيم الثميني حياته وآثاره، مطبعة الواحات، غرداية، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.
- (١٩) فيصل عباس، موسوعة الفلاسفة، دار الفكر العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.
- (٢٠) أبو القاسم سعد الله (ت ١٤٣٥هـ)، تاريخ الجزائر الثقافي أو الموسوعة الثقافية الجزائرية، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة خاصة ٢٠٠٧م.
- (٢١) كاتب مراكشي (ت ق ٦هـ)، الاستبصار في عجائب الأمصار، دار الشؤون الثقافية، بغداد ١٩٨٦م.
- (٢٢) المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.
- (٢٣) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ.

فهرس الموضوعات:

الصفحة	العنوان
٢	الإهداء
٣	الشكر والعرفان
٤	ملخص البحث
٤	أهمية الكتاب المحقق
٥	مقدمة
٦	التعريف بالشيخ الثميني
١٠	التعريف بالكتاب
١٠	منهج الشيخ في كتابه
١١	أسباب اختيار الموضوع
١٢	صعوبات البحث
١٢	منهجية التحقيق
١٤	ملاحظات
١٥	صور المخطوطة (أ)
١٨	صور المخطوطة (ب)
٢٠	صور المخطوطة (ج)
٢١	النص المحقق
٢٢	المقصد الثالث
٢٤	المقصد الرابع
٢٨	المقصد الخامس
٣٠	المقصد السادس
٣٥	المقصد السابع
٤٢	المرصد الثاني (في إبطال حوادث لا أول لها)
٤٢	المقصد الأول

تابع فهرس الموضوعات:

العنوان	الصفحة
المقصد الثاني	٤٩
فهرس الآيات	٥٠
فهرس الأعلام والفلاسفة	٥١
فهرس البلدان والأماكن	٥٣
فهرس الطوائف والفرق والمذاهب والأديان	٥٤
المصادر والمراجع	٥٥
فهرس الموضوعات	٥٧